متشابه النظم القرآني بين تعبيري: "الذين آمنوا" و"المؤمنون"

Qur'anic composition between the expressions of "Those who believed" and the "Believers"

Prof. Dr. Mahmod Hassan Makhlof
Faculty of Arabic (Asyut Campus)
Al-Azhar University – Egypt
E-mail: azahr200785@yahoo.com ORCID: https://orcid.org/0000-0002-4909-404X

Abstract

The research is showing great interest towards the topic Qur'anic Composition because of the subtle differences and subtle connotations between similar expressions of the Qur'an, especially since these similarities address the structural and ordinal levels to elicit conclusions and a deeper concept, and from this perspective study attempts to shed light on the semantic difference between the two expressions: "Those who believed" and "The believers" in the structures of the Noble Qur'an, to search for subtle differences by investigating their Qur'anic positions, to arrive at the words of scholars in defining the specific and common between the two expressions as well as explaining the meanings of "the" and the connected ones defined in a way that tries to reveal the original significance of each of them, while monitoring the indications branching with what fulfills the right of the standing contained therein. The study examines the term "الذين آمنوا" those who believed" in a number of contexts, whether in the context of legislation and direction, and the difference in ranks of the interlocutors, between nationality and covenant, with evidences in the context of legislation and guidance, methods connected in the form of the news and the context of their evangelization in the world and the hereafter, and the context of the enclosure of God and His Messenger, the context The comparison between the two groups and the context of investigating the disagreement in the religion and describing the firm faith.

***Keywords**: Qur'an, semantic, Similarities, Qur'anic Composition, Significance, believed, believers, faith.*

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وآلهم وصحبهم، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين .. وبعد،

فهذا بحث مما تثيره لفتات أهل العلم في مجالسهم، ومحاضراتهم، ومناقشاتهم، حيث ينبهون إلى قضايا ومسائل، مما يجب أن يشغل به الدارسون.

وكلام هذه الطبقة من الشيوخ مما يجب أن يعكف عليه الباحثون؛ لأن فيه ومضات البصائر، وثمرات العقول، وبركات القلوب الموصولة بالله – عز وجل–.

ثم إن هذا البحث يدور في فلك "متشابه النظم القرآني" مصطنعا منهج أئمته وشيوخه القدامى والمعاصرين، حيث يعنون برصد الفوارق الدقيقة، والدلالات اللطيفة بين تعبيرين متشابهين من

النظم الكريم بعد استقصاء هذه المواضع، وتحديد سياقاتها: "الجزئية" في سباق التعبير ولحاقه، و"الكلية " في السور التي ورد فيها، ثم "سياقاتها العامة" في القرآن الكريم كله.

ولا أرتاب في أن في هذا المنهج –لمن تهيأ له بأدواته– غنية عن اصطناع مناهج مستحدثة؛ لأسباب لا يتسع المقام لذكرها.

ومن يراجع ما دبجه الإمام الإسكافي، والعلامة الغرناطي –رحمهما الله تعالى– وما أبدعه الدكتور فاضل السامرائي في هذا المجال = يوقن بصدق ما أقرره في هذه التقدمة.

يضاف إلى ما سبق وجوب العناية بما استلهمه ذوو البصائر المستنيرة من لطائف المناسبات القرآنية على المستويين : التركيبي، والترتيبي؛ فإنه مما يتلاقى مع دراسة "المتشابه" في كثير من طرائقه ونتائجه.

هذا .. وقد بدأت بعد المقدمة بذكر "مثير البحث في نفسي، ثم عرضت خلاصة كلام أهل العلم في دلالتي التعبيرين: "الذين آمنوا، والمؤمنون"، ثم فصلت القول في سياقات كل منهما، ملتمساً الدلالة المقصودة بعد مراعاة السياق الوارد فيه.

وإذا كان هذا البحث –على وهن كاتبه– قد شغل كل هاتيك الصفحات بدراسة تعبيرين اثنين في القرآن الكريم = فما بالك لو شغل باحثون من ذوي البصيرة، والجد، والعكوف على نظائرهما مما يعد بالمئات في ثنايا النظم المعجز؟!.

ومن هنا: فإني لأرجو أن يكون هذا العمل مفتاحا لبحوث متتابعة، يعكف عليها من له عقل أرجح، وعلم أرسخ، وأدوات أكمل؛ حتى يؤتي ثماراً أنضج، ونتائج أدق، وأثراً أخلد .. والله من وراء القصد — هو حسبي، ونعم الوكيل.

د/ محمود حسن مخلوف (ضحى الثلاثاء 13 شوال 1426هـ / 17 نوفمبر 2005م)

بني عدي – المكتبة الجعفرية.

مثير البحث

كان الدافع إلى هذا البحث هو ما أشار إليه بعض شيوخ هذا العلم[1] من الفارق الدلالي بين تعبيري: "الذين آمنوا" و "المؤمنون" في النظم القرآني الكريم، ذاكراً أنه مما كثر التنبيه إليه من العلامة المفسر "برهان الدين البقاعي –رحمه الله– في كتابه العظيم: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

ثم مضت بضع سنين على هذا التنبيه لم يفتأ فيها عن معاودتي حيناً بعد حين كلما عرض باعثٌ تذكرَّ، أو خاطر يدعو للتأمل، أو مطالعة تحث العقل على التدبر في نظوم القرآن الكريم.

فلما انعقد العزم على دراسة هذه الخصيصة لتلمس الفوارق اللطيفة من خلال استقصاء مواضعها القرآنية = كان كتاب "نظم الدرر" قبلة صاحب البحث، ومسرح نظره وتفكيره، بناءً على الإشارة السالفة.

وما إنْ طالعت صفحاته الأولى حتى ردني المؤلف –رحمه الله– إلى المعين الذي استقى منه هذا الفقه العجيب لنظوم الكتاب الكريم، حيث نصّ على أنه انتفع كثيراً في مؤلفه بتفسير "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل" للعلامة أبي الحسن علي بن أحمد التجيبي الحرالي.[2]

وعلى كثرة ما طالعت في "نظم الدرر" حول الفرق بين التعبيرين فإن الإمام البقاعي –رفع الله درجته في عليين– تلتقي معظم تحليلاته على أن تعبير "الذين آمنوا" يفيد أنهم أقروا بالإيمان بألسنتهم، وأن هذا الإقرار بحاجة إلى تصديق بعمل الصالحات، وإن كان في اللواحق التابعة للتعبير ما يستشف منه لطائف ملائمة للسياقات المتنوعة.

وأن تعبير "المؤمنون" يقصد به: الصادقون في اتصافهم بالإيمان، الثابتون على هديه، الراسخون فيه .. إلى آخر الأوصاف التي تفيد علو درجتهم، وسمو مقامهم عن أصحاب التعبير الأول.

ولم يجد الشيخ الجليل أدنى عنت في توجيه هذا الفهم؛ حين علل اختيار الفعل في "الذين آمنوا" بكونه يدل على الحدث الطارئ المتغير، وعلل اختيار الوصف بالاسمية في "المؤمنون" بالثبوت، والوكادة، والرسوخ.

ثم بنى على هذه المقررات –التي ارتضاها علماء اللغة والنحو والبلاغة– ما قرره من تحليل التعبيرين، وذكرته قبلاً.

ولقد صرح الإمام البقاعي –رحمه الله– في أكثر من موضع بنسبة أصل توجيهه هذا إلى تقريرات "الحرالي –رحمه الله– مكثرا من النقل عنه في هذا السياق حتى تجاوز النص المنقول أحيانا أربعين سطراً " في توضيح هذا الضابط القرآني.[3]

يقول عند تفسير قوله –تعالى–:"{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.[4]

(فخطاب بما يتوجه بادئ بدء إلى أدنى الطبقات التي التزمت أمر الدين؛ لأنه لم يكن باعث حب وشوق يبعثهم على فعله من غير فرض، بخلاف ما فوقهم من رتبة المؤمنين، والمحسنين؛ فإنهم كانوا يفعلون معالم الإسلام من غير إلزام، فكانوا يصومون على قدر ما يجدون من الروح فيه. قاله الحرالي.

وقال: فلذلك لم ينادوا في القرآن نداء بعد، ولا ذكروا إلا ممدوحين، والذين ينادون في القرآن هم "الناس" الذين انتبهوا لما أشار به بعضهم على بعض، و"الذين آمنوا" بما هم في محل الائتمار متقاصرين عن البدار.

فكذلك كل نداء في القرآن متوجه إلى هذين الصنفين إلا ما توجه للإنسان بوصف ذم في قليل من الآي... انتهى".[5]

ولو كان ما أوردته من نصوص –إثباتا أو إشارة– اقتصر فيها ما ورد من التعبيرين في مقام الخطاب والأمر لسلم ذلك، بيد أن التصريح بقوله عن "المؤمنون" ولا ذكروا إلا ممدوحين "يوسع دائرة التقرير السابق ليشمل الإخبار إلى جوار النداء والخطاب .... وهذا هو محل النظر والبحث.

حيث دل الاستقصاء على أن أكثر ما ورد عليه "التعبيران" في القرآن الكريم = ينطبق عليه ما قرره الإمامان.

فقد ورد "الذين آمنوا" منادين نداء بُعد، مخاطبين بما يظن فيه التقصير عن البدار، وذلك في تسعة وثمانين موضعا من القرآن، مثل:

- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.[6]
- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.[7]
- {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}.[8]

إلا أن هناك عدة مواضع واردة بالصيغة نفسها في السياق ذاته، وقد دخل صياغتها شيء من التغيير الذي يباعد بين مدلولها وبين ما قرره الشيخان –مثل ما سبق فيه تعبير "الذين آمنوا" بما يفيد التشريف بالإضافة إلى ضمير ذي الجلال – سبحانه.

سواء من ذلك ما جاء بالنداء المطلق: {يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ}.[9]

أم جاء هذا النداء مسبوقا بالأمر (قل): {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ}.[10]

أم جاء التعبير مسبوقا بالأمر (قل): {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.[11]

وقريب منه ما سبق التعبير فيه بإضافة التشريف: {قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ}.[12]

وأظهرها في هذا ما جاء فيه تعبير "الذين آمنوا" نعتا للمنادى أو بياناً منه[13]: {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا}.[14]

وإذا كان ما سبق من وجوب معاودة النظر فيما قرره الإمامان قد ألزم به ما ورد في سياق التشريع = فإن في السياقات الأخرى ما هو أقوى إلزاما بضرورة هذه المراجعة؛ لوقوع تعبير "الذين آمنوا" في مقامات إيمانية راقية.

حيث ورد في سياق تبشير "الذين آمنوا" في مثل قوله – عز وجل–: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ}.[15]

وكذا في سياق ضميمة "الذين آمنوا لله ورسوله" في مثل قوله –سبحانه–: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ}.[16]

وكذا في سياق المقارنة بين أحوال فريقي اليمين والشمال في مثل قوله –تعالى–: {الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}.[17]

وهكذا في بقية الشواهد في هاتيك السياقات وأخواتها، مما يأتي تفصيله في البحث إن شاء الله.

وكما ألزم الاستقصاء بوجوب التحقيق في التعبير الأول كذلك الحال بالنسبة للتعبير الثاني "المؤمنون".

حيث إن أكثر مواضعه في القرآن مما ينطبق عليه كلام الإمامين من إفادة الصدق والرسوخ، والقوة في التحقق بالوصف – والشواهد التالية تجلي هذا الانطباق:

– {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}.[18]

– {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}.[19]

– {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ...}.[20]

– {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...}.[21]

– {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا...}.[22]

ومع شيوع تحقق الضابط الذي قرره العلّامتان في فقه دلالة (المؤمنون) في أكثر ما ورد منه في القرآن إلا أن هنالك مواضع تشي بدلالات مغايرة لما سبق حسبما يقتضيه سياق التعبير. وذلك في مثل قوله –عز وجل–:

– {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ...}.[23]

– {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...}.[24]

– {لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا}.[25]

– {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا}.[26]

– {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ}.[27]

فهذه الشواهد ونظائرها تحتم معاودة النظر فيما قرره الشيخان الجليلان على حسب ما يقتضيه الحصر والتأمل الدقيق في السياقات، وما اكتنف التعبير من دقائق ولطائف.

ومن الأوفق ألا أتعجل هذا التحقيق قبل أن أعرض خلاصة لما قرره أهل العلم من اللغويين، والنحاة، والبلاغيين في دلالة التعبيرين علّني أجد في كلامهم ما يكشف عن وجهة الشيخين قبل مخالفتهما فيه.

كما أن في هذه المراجعة لكلام العلماء ما يضيء لي السبيل في فقه المواضع التي لم يعرض لها أحد من المفسرين، وفي هذا عصمة من الوهم والزلل – إن شاء الله–.

خلاصة كلام أهل العلم في تحديد الخاص والمشترك بين التعبيرين:

تتابعت أقوال العلماء و تحقيقاتهم فى بيان دلالتي "ال" والموصول المعرفين بما يحاول الكشف عن الدلالة الأصلية لكل منهما، مع رصد الدلالات المتفرعة بما يوفي حق المقام الواردة فيه.

وقد كثر كلامهم واختلط، وتعاقبت تحقيقاتهم واستدراكاتهم في سبيل تجلية هذه الدلالات الدقيقة المضببة بعد أن تعذر الركون إلى قول فصل يمكن أن تدخل تحته استعمالات هذين الأسلوبين في الشواهد المتنوعة بما يندَّ عن الحصر.

وقد دخل اللبس، وعسُر التحقيق الفاصل بسبب كون "اللام" المتصدرة للتعبير الثاني "المؤمنون"

من الحروف التي تتعاقب عليها الدلالتان: دلالة التعريف المتعالمة المشهورة، ودلالة الموصولية في استعمالات خاصة.

وقد ترتب على هذا أن ما شهر من دلالات "اللام" المعرّفة كالجنسية والعهدية = هو أيضا من دلالات الموصول عند اقتضاء السياق، وهذا أيضاً مما يزيد الاشتراك بين التعبيرين عمقاً وتأصلاً، غير أن غيبة هذا عن بعض أهل العلم والدارسين قد يوقع في زلل و اضطراب.

لذا كان عرض تحقيقاتهم مما يجب تصدير البحث به استلهاماً، واعتصاماً، وفصلاً في الخلاف.

"ال" ودلالتها عند العلماء:

اتفقت وجهات أهل العلم على أن "ال" تَجيء لإفادة معان ثلاثة، هي: التعريف، والموصولية، والزيادة.

فأما المعرفة فترد على نوعين: العهدية، والجنسية، وكل منهما ثلاثة أقسام:

فالعهدية ترد على:

– **العهد الذكري**: مثل قوله –سبحانه–: {كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ...}.[28]

– **العهد الذهني**، مثل قوله –سبحانه–: {إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ}.[29]

– **العهد الحضوري**: مثل قوله –سبحانه–: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...}.[30][31]

والقدر المشترك في العهدية بأنواعها الثلاثة = أنها تدخل على واحد من أفراد الجنس بعينه .. ولا غرو في هذا؛ إذ إن مادة "عهد" تدل على مطلق المعرفة كما هو مدون في معاجم اللغة[32].

والنوع الثاني من أنواع "المعرفة: الجنسية، وهي –أيضا– ترد على ثلاثة أقسام:

– **دالة على استغراق الكل**، وضابطها: أن تستبدل بكل حقيقة كما في قوله –عز وجل–: {وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا}[33] {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}[34]؛ إذ يصح أن يقال فيهما: كل إنسان على سبيل الحقيقة.

– **ودالة على استغراق خصائص الأفراد**، وضابطها: أن يمكن استبدالها ب"كل" مجازاً، نحو قوله: {ذَلِكَ الْكِتَابُ}.[35]

ونحو قولنا: عمرُ الرجلُ عدلاً، أي: الكامل في هذه الصفة.

– **ودالة على تعريف الماهية**، وضابطها: التي لا تخالفها "كل" حقيقة، لا مجازا، نحو قوله – عز وجل–: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...}.[36] وقولك: والله لا آكل الفاكهة؛ ولهذا قد حكموا في المثال: أن الحنث يتحقق بأكل واحدة منها.[37]

قال العلامة البهاء السبكي –رحمه الله–: "تقرر أن الألف واللام للعموم عند عدم العهد، وليست للعموم عند قرينة العهد.. لكن هل الأصل فيها العموم حتى يقوم دليل على خلافه؟ أو الأصل أنها موضوعة للعهد حتى يقوم دليل على عدم إرادته؟ .. فيه نظر، وكلام الأصوليين فيه مضطرب".[38]

تنبيه: قرر محققو البلاغيين أن إطلاق الألف واللام الداخلة على المشتقات موصولة = لا يصح؛ لأنها إنما تكون موصولة حيث أريد بها معنى الفعل من التجدد والحدوث، مثل: الآكل، والشارب، والقائم، والقاعد.

أما إذا أريد بها الثبوت فلا، فخرج بذلك أسماء الفاعلين، وأسماء المفعولين إذا قصد بها الثبوت، مثل: المؤمن، والكافر، والزاهد، وخرج بذلك أفعل التفضيل، وخرجت الصفة المشبهة فإنها يقصد بها الثبوت، مثل: الحسن، والقبيح.[39]

هذا، والمتكلم البليغ يتغيا من التعريف باللام تحقيق غرض من الأغراض التالية:

– **تعيين واحد من أفراد الجنس مثل:** جاء الرجل، وهي ما سميت بلام "العهد"، ولا يتحقق هذا إلا إذا كان المخاطب يعرف الرجل من عهد سالف، وإلا فلا.

ولعل هذا هو ما قصده سيبويه –رحمه الله– بقوله عن المعرف بأل: "إنما صار معرفة؛ لأنك أردت بالألف واللام الشيء بعينه دون سائر أمته؛ لأنك إذا قلت: "مررت برجل" فإنك إنما زعمت أنك مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم، لا تريد رجلا بعينه يعرفه المخاطب، وإذا أدخلت الألف واللام فإنما تذكره رجلا قد عرفه، فتقول: الرجل الذي من أمره كذا وكذا؛ ليتوهم الذي كان عنده بما نذكره من أمره"،[40] وكلام عبد القاهر الجرجاني في الموصول مأخوذ من هذا.[41]

– **بيان الجنس كقولهم:** "الفهد أسرع من الذئب" حيث لا يقصد بالفهد واحداً من أفراد الجنس، ولا الذئب كذلك، وإنما أرادوا القول بأن هذا الجنس أسرع من هذا الجنس.

وقد قرروا أن هذا لا ينسحب على كل فرد من أفرادهما، فربما وجد من أفراد الذئب ما يفوق في سرعته بعض أفراد الفهد.

– **استغراق كل أفراد الجنس،** مثل قوله –سبحانه–: {وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا}.[42] حيث تقرر لدى أهل العقل جميعا أن الضعف والافتقار يستغرق كل فرد من أفراد الجنس.

– **الإشارة إلى واحد مما عرفت حقيقته في الذهن من دون قصد إلى التعيين:** واستشهدوا عليه بقوله تعالى على لسان يعقوب –عليه السلام–: {وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ}[43] فإنه لا يقصد ذئباً بعينه، بل واحداً من الجنس مما استقرت معرفته في العقل.

– **الدلالة على الكمال في الصفة المفادة بالمعرفة، كقولهم:** هو الفتى كل الفتى؛ حيث إن هنالك فرقا بين من يقول: هذا فتىً، ومن يقول: هذا الفتى؛ إذ في التعريف من دلالة الكمال ما ليس فى التنكير، كما قال شيخ البلاغيين: "ويبيَّن ذلك أن تقول: لك في هذا غنىً، فتنكر إذا أردت أن تجعل ذلك من بعض ما يستغنى عنه.

فإن قلت: لك في هذا الغنى "كان الظاهر أنك جعلت كل غناه به، أي: كماله و"ال" هنا للاستغراق".[44]

والذي قرره الشيخ هنا ينطبق عليه كلامه في أول وجه من وجوه دلالة التعريف باللام حيث يقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصد المبالغة، وذلك مثل قولهم: زيد هو الجواد، وعمرو هو الشجاع، يريدون أنه: الكامل، إلا أنهم أخرجوا الكلام في صورة توهم أن الجود أو الشجاعة لم توجد إلا فيه، وذلك حيث لم يعتدوا بما كان من غيره من اشتراك في هاتين الصفتين لقصورهم عن بلوغ الكمال.[45]

– **الدلالة على القصر الحقيقي:** حيث يقصر جنس المعنى المفاد بالخبر على المخبر عنه؛ لإفادة أنه لا يوجد إلا منه.

وقد صرح الشيخ بأن هذا لا يكون إلا إذا قيد المعنى بشيء يخصصه، ويجعله في حكم نوع برأسه، كأن يقيد بالحال، أو المفعول، مثل قولهم: "هو الوافي حين لا تظن نفس بنفس خيرا"، وقول الأعشى:

هـو الواهـب المائـة المصـطفاة إمـا مخاضـا وإمـا عشـارا

حيث جعل الوفاء في الوقت الذي لا يفي فيه أحد نوعاً خاصاً من الوفاء، وكذا جعل الأعشى

هبة المائة المصطفاة من الإبل نوعاً خاصا من الهبة، ثم جعل كل هذا خبراً على معنى الاختصاص، وأنه للمذكور دون من عداه.

– **الدلالة على ظهور المعنى المفاد بالمعرّف** ظهوراً لا يشك فيه فضلاً عن أن ينكر، مثل قول الخنساء:

إذا قَـبُحَ البكـاء علـى قتيـل رأيـت بكـاءك الحسـن الجمـيلا

حيث لم ترد أن ما عدا البكاء على صخر ليس بحسن ولا جميل، ولم يقيد الحسن بقيد يشعر بالقصر، ولكنها أرادت أن تقره في جنس ما حسنه الحسن الظاهر الذى لا ينكره أحد، ولا يشك فيه مرتاب.

– **الدلالة على إثبات معنى للمعرف باللام وتقريره وتوكيده،** مع كونه في الأصل مبنيا على الوهم والتقدير، حيث يصور في خاطره شيئا لم يره ولم يعلمه، ثم يجريه مجرى ما عهد وعلم. على حد قول الشيخ في قول ابن الرومي:

هو الرجل المشروك في جل ماله ولكنـه بالمجـد والحمـد مفـرد

كأنه يقول للسامع: فكر في رجل لا يتميز عفاته وجيرانه ومعارفه عنه في ماله، وأخذ ما شاؤوا منه، فإذا حصلت صورته في نفسك فاعلم أنه ذلك الرجل.[46]

الاسم الموصول "الذين" ودلالته عند العلماء:

قال الشيخ الإمام: (اعلم أن لك في "الذي" علماً كثيرا، وأسراراً جمة، وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصدر بما يفضس بك إليه من اليقين، ويؤديه إليك من حسن التبيين).[47]

وقد قرر النحاة أن "الموصول" سمي بذلك؛ لأنه يوصل بكلام بعده هو من تمام معناه، وفيه مراعاة للدلالة اللغوية للمصطلح؛ إذ هو اسم مفعول من وصل الشئ بغيره إذا جعله من تمامه.

كما أكدوا أن أشهر مقاماته حيث يجتلب إذا كان قد عرف رجل بقصة وأمر جرى له، فتخصص بتلك القصة وبذلك الأمر عند السامع، ثم أريد القصد إليه ذكر "الذي".[48]

(الذين) لإفادة العهد:

إذا كانت جملة الصلة معهودة لمخاطب –كما سلف– فإن الموصول هنا يفيد مع الجمل دلالة "ال" العهدية المستعملة مع المفردات، كما في قوله –سبحانه –:

– {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ}.[49]

– {فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ}.[50]

– {وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.[51]

فالصلة في هذه الشواهد ونظائرها معلومة عند من لهم دراية بشأن هذه الآيات، فيتحقق بالموصول هنا ما يتحقق بأل العهدية التي تعرف المفردات.[52]

قال العلامة الدسوقي –رحمه الله–: "إن قلت: يشترط في صلة الموصول أن تكون معهودة للمخاطب كما ذكر النحاة، لأجل أن يتعرف باعتبارها، وحينئذ فلا يأتي أن تكون مبهمة؛ لأن الإبهام ينافي ذلك؛ قلت: ذلك الاشتراط بالنظر لأصل الوضع، وقد يعدل عن ذلك الأصل إلى الإبهام لأجل تلك النكتة – أي: تعظيم المسند إليه تهويله.

وفيه: أن الذي ذكره النحاة أن الصلة يشترط فيها أن تكون معهودة إلا في مقام التعظيم والتهويل، ويمثلون بهذه الآية: {فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ}[53] فلا اعتراض.[54]

(الذين) لإفادة الجنس:

قد يراد بالموصول دلالة الجنس، وذلك حيث لا يقصد إلى كون الصلة معهودة، ولكنه يقصد عموم الحكم وشموله، وذلك كما في قوله –تعالى–:

– {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.[55]

– {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}.[56]

– {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.[57]

فالصلة في هذه الآيات عامة، تشمل جنس من اتصف بالإيمان شمولاً مستغرقا؛ لكونها أوامر تشريعية يخاطب بها كل مكلف من أهل الإيمان.

وأكثر ما جاء في القرآن من تعبير "الذين آمنوا" جاء على هذه الدلالة كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

هذا، والمتكلم البليغ يتغيا من التعريف بالموصول تحقيق واحد من الأغراض الآتية:

– **إفادة التعريف بالصلة:** حيث لا علم للمخاطب بشيء من الأحوال المتصلة بالمخبر عنه غير الصلة، كما في قولك: "الذين كانوا في السفينة الغارقة أمس تم إنقاذهم جميعا".

– **إفادة الاستهجان:** بالتصريح باسم المعبر عنه بالموصول، كما في قوله –سبحانه–: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا}[58]، إذ التصريح باسم ما افتراه بنو إسرائيل على موسى –عليه السلام– مما يتعفف عن ذكره.

– **إفادة التقرير والتوكيد:** نحو قوله –تعالى–: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ}[59] سواء كان التقرير لنزاهة يوسف –عليه السلام– وهو الغرض المسوق له الكلام، أم كان التقرير المسند إليه من إفادة تمكن امرأة العزيز من يوسف –عليه السلام–، واكتمال الابتلاء بكونه معايشاً لها مخالطاً في أخص أماكنها وأحوالها.

– **إفادة التفخيم والتهويل:** كما في قوله –سبحانه–: {فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ}[60]، فجاء الاسم الموصول هنا إشارة إلى أن هذا الذي غشيهم بلغ من العظم غاية لا تدرك، ولا تفي العبارة ببيانها.

و"العِظَم" من حيث الكم، لكثرة الماء المجتمع وتضمنه أنواعاً من العذاب، ومن حيث الكيف لسرعته في الغشيان؛ لأن الماء المجتمع بالقسر إذا أرسل على طبعه كان في غاية السرعة، ولإحاطته بجميعهم بحيث لا يتخلص واحد منهم.[61]

– **إفادة الإيماء إلى وجه بناء الخبر:** كقوله –سبحانه–: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.[62]

فالموصول هنا يشير إلى جنس الخبر، وكونه عظيم الشأن مرتفع الرتبة قد حاز المقصودون به فضل الله وتمام نعمته في جنة النعيم والخلود فيها.[63]

وعكسه: ما أفاده الموصول من وجه بناء الخبر على الذم والعقاب في قوله –عز وجل–: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}.[64]

الإيماء هذا ربما جعل ذريعة لتعظيم الخبر، أو ذريعة لتحقيقه، أو ذريعة لتنبيه المخاطب إلى خطأ، مما هو مفصل فى مظانه من كتب البلاغة.[65]

عرض شواهد التعبيرين في سياق القرآن الكريم مع تحديد الدلالة:

يجب التذكير في مستهل هذا العرض بمثير البحث من كلام الإمامين: الحرالي والبقاعي من أن خطاب "الذين آمنوا" موجه إلى أدنى الطبقات التي التزمت أمر الدين؛ لأنهم لم يكن لهم باعث حب وشوق يبعثهم على فعله من غير فرض.

وأما من فوقهم من رتبة "المؤمنين" و"المحسنين" فإنهم كانوا يفعلون شعائر الإسلام من غير إلزام، فكانوا يصومون على قدر ما يجدون من الروح فيه، فلذلك لم ينادوا في القرآن نداء بعد، ولا ذكروا إلا ممدوحين.

والذين ينادون في القرآن هم "الناس" الذين انتبهوا لما أشار به بعضهم إلى بعض، و "الذين آمنوا" بما هم في محل الائتمار، متقاصرين عن البدار".[66]

وسوف أبدأ بما عده الشيخان الطبقة الأقل التزاماً بأمر الدين "الذين آمنوا" لتبين مدى انطباق مقولة الشيخين عليهم في سياقات الورود المتنوعة.

تعبير "الذين آمنوا":

هذا التعبير قد سلف عرض حديث العلماء عنه كنوع من أنواع المعارف، وعن دلالته، ومدى افتقاره للصلة، وتنوعه من حيث الدلالة تنوعا يشبه تنوع دلالة "أل" في كثير من الأحوال.

وقد كان الداعي إلى هذا السرد الموجز لكلام العلماء = إنما هو الاستعانة به على تحقيق كلام الشيخين "الحرالي والبقاعي" في فقه كنه هذه الدلالة فيما وردت فيه من الشواهد القرآنية.

وهاك التفصيل:

تعبير "الذين آمنوا" في سياق التشريع والتوجيه:

إن الكثرة الكاثرة مما ورد في هذا السياق من تعبير "الذين آمنوا" جاء مسبوقا بأسلوب النداء، حيث أحصى البحث منه تسعة وثمانين موضعاً واردة كلها في سياق التشريع والتوجيه.

ويتمثل هذا في نحو قوله –سبحانه–:

– {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا}.[67]

– {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.[68]

والمسائل التي يرجو البحث تحقيقها في هذا السياق هي:

– التعقيب على تقرير الحرالي بأن ما أمر به "الذين آمنوا" بعد النداء كانوا فيه "متقاصرين عن البدار" وإثبات أن ما أمروا به لم يكن في درجة واحدة من حيث مرتبة المخاطبين.

يتبع المسألة السابقة تحقيق دلالة الموصول هنا بين الجنسية والعهدية.

– إجمال القول على المواضع الثلاثة العشر التي جاء فيها التشريع لـ"الذين آمنوا" بدون أن يسبق هذا التعبير بالنداء، وإنما بأسلوب الخبر المراد به الأمر.

المسألة الأولى:

ظاهر كلام العلامة "الحرالي" –رحمه الله– أن تعبير "الذين آمنوا" يعبر به حين ينادي ليخاطب "أدنى درجات الإيمان".

وقد سار العلامة البقاعي –رحمه الله– على هذا في تفسيره "نظم الدرر"، فكان يعقب على معظم مواضع ورودها في القرآن بنحو قوله:

- (الذين آمنوا) أي: وجد منهم الإقرار بالإيمان.[69]
- (الذين آمنوا) أي: أقروا بالإيمان.[70]
- (الذين آمنوا) أي: أقروا بالإيمان بألسنتهم صدقاً أو كذباً.[71]
- (الذين آمنوا) أي: ادعوا ذلك بألسنتهم.[72]
- (الذين آمنوا) أي: أوقعوا الإيمان ولو على أدنى وجوهه.[73]
- (الذين آمنوا) أي: باشروا الإيمان.[74]
- (الذين آمنوا) أي: الذين أوجدوا هذه الحقيقة ولو على أقل درجاتها.[75]

ولما كان معظم تفسير البقاعي لهذا التعبير على النمط السالف فإنه أتبعه بتفسير (وعملوا الصالحات) المعقبة لها في الغالب بقوله:

- "تصديقا لادعائهم الإيمان".[76]
- "تصديقاً لإيمانهم ...".[77]
- "تصديقاً لدعواهم ذلك...".[78]

وفي هذا كله ما يعاضد وجهته في فهم التعبير المذكور.

وهذا الذي قرره الفاضلان يرد عليه ما قرره علماء المفردات، و التفسير، والكلام من أن: "الإيمان" يستعمل تارة اسماً للشريعة التي جاء بها مُحَمَّد –ﷺ– يوصف بها كل من دخل شريعته مقرا بالله وبنبوته.

وتارة يستعمل على سبيل المدح، ويراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، و إقرار باللسان، وعمل بحسب ذلك بالجوارح، وعلى هذا قوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ...}.[79]

ويقال لكل واحد من الاعتقاد، والقول الصدق، والعمل الصالح = إيمان.[80]

وقريب منه ما عده محققو المتكلمين كالأيجي[81]، والسيالكوتي، ومحققو المفسرين كالآلوسي وغيره.

قال في "روح المعاني" بعد سرد ثمانية أقوال في هذا المقام: (لم يظهر لي بأس فيما ذهب إليه السلف الصالح، وهو أن لفظ "الإيمان" موضوع للقدر المشترك بين التصديق وبين الأعمال، فيكون إطلاقه على "التصديق" فقط، وعلى مجموع التصديق والأعمال حقيقة..).[82]

وإنما يتأتى الإيراد على صنيع الشيخين من هذه النصوص؛ لأنها في جملتها تثبت درجات لمفهوم الإيمان، فيكون تعميم الإمامين تفسير "الذين آمنوا" بما سبق سرد معظمه = غير دقيق؛ لأنه منظور فيه إلى "الادعاء، والإقرار باللسان، والإيقاع على أدنى الوجوه، والإيجاد بأقل الدرجات .. إلخ" مما سبق نقله عنهما.

ولم يلحظ الشيخان ما أثبته الأئمة –مما سبقت الإشارة إليه– وغيره من أن تعبير "الذين آمنوا" يشمل ما ذكره مع إفادته في بعض السياقات تحقيق الدرجات العلى.

ولعل البقاعي –رحمه الله– قد ألزمه السياق بهذا عند تفسيره لآية الحديد/١٩: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ..} حيث يقول: ("والذين آمنوا" أي: أوجدوا هذه الحقيقة العظيمة في أنفسهم "بالله" أي: الملك الأعلى الذي له الجلال والإكرام "ورسله" أي: كلهم لما لهم من النسبة إليه... "أولئك" أي: الذين لهم الرتب العالية، و المقامات السامية "هم" أي: خاصة لا غيرهم "الصديقون" أي: الذين هم في غاية الصدق والتصديق لما يحق له أن يصدق من سمعه).[83]

كما يرد على تقرير الشيخين: أن المنادين المخاطبين بـ "يا أيها الذين آمنوا" في القرآن قد تفاوتت مراتبهم حسبما تشير إليه الأوامر التي وجهت إليهم، مع مراعاة أنها ترامت أطراف تنزلها في السنوات العشر المدنية للبعثة الشريفة، ولا يعقل أن يكون الذين خوطبوا بها جمدوا بها عند "أول درج الإيمان" –على حد تعبير الشيخين– طيلة هذه السنين العشر.

فأما تفاوت الرتب الإيمانية حسب تفاوت الأوامر الموجهة إلى "الذين آمنوا" فيتجلى من المقارنة بين آيتي:

– {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}.[84]

– {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.[85]

وبين آيتي:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.(86)
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم فإنه منهم}.(87)

وبين آيتي:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.(88)
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}.(89)

وبين آيتي:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}.(90)
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}.(91)

وبين آيتي:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.(92)
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ...}.(93)

وكثير مما ورد تشريعاً أو توجيهاً عقيب نداء "الذين آمنوا" يبدو للناظر فيه تفاوت رتب المخاطبين حسب تفاوت درج الأوامر والنواهي ومتعلقاتها، وهذا بلا ريب يشعر بتفاوت أحوال من وجهت إليهم ودرجهم في مراقى الإيمان، ولعل هذا ما حدا بعلماء أهل السنة أن يقرروا أن "الإيمان" يعتريه الزيادة والنقصان.

هذا، وقد نقل صاحب البرهان عن الإمام فخر الدين الرازي ما يعد فصلا في القضية حيث يروي عن علقمة والحسن –رضي الله عنهما– أن ما كان في القرآن "يا أيها الناس" مكي، وما كان "يا أيها الذين آمنوا " فبالمدينة.

وأن القاضي قال إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فمسلّم، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف، إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفتهم، واسمهم، وجنسهم، ويؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها.(94)

فهذا نص في تفاوت درج خطاب المؤمنين، ومنحاه المعتبر يقوي ما أوردته على العلامة البقاعي في تقريره المفاد من شيخه الحرالي –والله أعلم–.

وأما ما يجب اعتباره من تراخي السنين بين أول المنزل من هذا النداء "الآمر الناهي" وبين آخره = فيحدد من البيان التالي:

- سورة البقرة في أحد عشر موضعا في آيات: (104، 153، 172، 178، 183، 208، 254، 264، 278، 282).
- سورة آل عمران في سبعة مواضع في آيات: (100، 102، 118، 130، 149، 156، 200).
- سورة النساء في تسعة مواضع في آيات: (19، 29، 43، 59، 71، 94، 135، 136، 144).
- سورة المائدة في ستة عشر موضعا في آيات: (1، 2، 6، 8، 11، 35، 51، 54، 57، 87، 90، 94، 95، 101، 105، 106).
- سورة الأنفال في خمسة مواضع في آيات: (15، 20، 24، 27، 29).
- سورة التوبة في ستة مواضع في آيات: (23، 28، 34، 38، 119).
- سورة الحج في موضع واحد في آية: (77).
- سورة النور في ثلاثة مواضع في آيات: (21، 27، 58).
- سورة الأحزاب في سبعة مواضع في آيات: (9، 41، 49، 53، 56، 69، 70).
- سورة الحجرات في خمسة مواضع في آيات: (1، 2، 6، 11، 12).
- سورة الحديد في موضعين في آيتي: (16، 28).
- سورة المجادلة في ثلاثة مواضع في آيات: (9، 11، 12).
- سورة الحشر في موضع واحد في آية (18).
- سورة الممتحنة في ثلاثة مواضع في آيات (1، 10، 13).
- سورة الصف في ثلاثة مواضع في آيات: (2، 10، 14).
- سورة الجمعة في موضع واحد في آية: (9).
- سورة المنافقون في موضع واحد في آية: (9).
- سورة التغابن في موضع واحد في آية: (14).
- سورة التحريم في موضعين في آيتي: (6، 9).

والرأي المعتبر عند جمهور أئمة علوم القرآن أن هذه السور العشرين التي احتوت المواضع التسعة والثمانين = كلها نزلت بالمدينة، من بدء الهجرة حيث نزلت أولها وهي سورة البقرة، إلى آخرها نزولا فيها وهي سورة المائدة.

ولا يجادل من به طرق أن الفترة المدنية من عهد النبوة قد ترقى فيها خيرة الصحابة من الخلفاء الأربعة، وبقية العشرة، وأهل بدر، وأحد، وبيعة الرضوان، وقد خالطهم غيرهم ممن لم يرق درجهم، وهؤلاء، وأولئك نودوا وخوطبوا بالمواضع التسعة والثمانين تبشيراً وإنذاراً وترغيباً وترهيباً، وتشريعاً وتوجيهاً .. كل على حسب درجته.

ولا أعتقد أن هذا كله يندرج تحت دلالة لغوية واحدة في شتى المواضع التي خوطب بها كافة من انضوى تحت ظلة "الذين آمنوا".

الموصول "الذين آمنوا" بين الجنسية والعهدية:

جاء كلام الشيخين في تفسير "الذين آمنوا" بالمعاني التي سردتها في المسألة السالفة من كونهم باشروا الإيمان، أو أوجدوه في أدنى درجة، وصدقوا بألسنتهم... إلخ، جاء هذا كله قريباً من مذهب من فهم دلالة "الذين" على الجنسية المفيدة للعموم كما قرره فريق من البلاغيين في قولهم: " ...بل الموصول الذي هو الذي والتي مقتضٍ لعموم، وهو في العموم أقوى من جميع المعارف.." .(95)

وقولهم: "...لأن الموصول مما يدل على الاستغراق، نحو: أكرم الذين يأتونك إلا زيداً، فصح التمثيل بها لمطلق العموم..." .(96)

وهذا الذي قرراه يخالف ما جهر به شيخ البلاغيين حين عرض الاسم الموصول مبرزاً دلالة العهد فيه حيث يقول:

والقول المبين في ذلك أن يقال: إنه إنما احتلت حتى إذا كان قد عرف رجل بقصته وأمر جرى له، فخصص بتلك القصد، وبذلك الأمر عند السامع، ثم أريد القصد إليه ذكر "الذي".

تفسير هذا أنك لا تصل "الذي" إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها وأمر قد عرف له، نحو: أن ترى عنده رجلا ينشد شعراً فتقول له من غد: ما فعل الرجل الذي كان عندك بالأمس ينشدك الشعر؟(97)

وهذا الذي ذكره الشيخ في دلالة الصلة على أمر معهود بين المتكلم والمخاطب وإن جرى في الشعر كثيراً، وبنى عليه أسَّ إفادة التعريف في اسم الموصول = إلا أن غالب ما ورد من الأسماء الموصولة في القرآن دال على الجنس والعموم.

فالآيات الكريمة التي صدرت بالاسم الموصول منادى في مقام التشريع يتجلى في معظمها قصد العموم لجنس المخاطبين دونما قصد فريق معهود إلا نادراً.

فمن شواهد دلالة الموصول على الجنس العام في هذا السياق آيات:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى}.[98]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}.[99]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تفلحون}.[100]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...}.[101]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا...}.[102]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا}.[103]

وعلى نهجها جاءت معظم شواهد سياق التشريع والتوجيه؛ لأنها أحكام عامة، وتوجيهات تخاطب كل من دخل الإيمان قلبه دون تخصيص طائفة دون أخرى، ولا تحد هذه التشريعات والتوجيهات بحدود زمان ولا مكان ولا شخوص.

وهي وإن نزلت بسبب حوادث معروفة وثابتة الرواية في كتب التفسير والحديث = إلا أن قاعدة الأصوليين المشهورة لتشهد لقصد العموم المستغرق حيث قرروا: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وتتعين دلالة "الذين" على الجنس في سياق التشريع والتوجيه في الآيات التالية:

البقرة: (153، 172، 178، 183، 208، 254، 264، 267، 282)، آل عمران: (100، 102، 118، 130، 149، 200)، النساء: (29، 59، 71، 135، 136، 144)، المائدة: (1، 2، 6، 8، 51، 35، 11، 54، 57، 87، 90، 105، 106)، الأنفال: (10، 20، 24، 27، 29)، التوبة: (23، 34، 38، 119، 123)، الحج:

(77)، النور: (21، 27، 58)، العنكبوت: (56)، الأحزاب: (9، 41، 49، 56، 69، 70)، الزمر: (10)، الجاثية: (14)، محمد: (7، 33)، الحجرات: (1، 6، 11، 12)، الحديد: (28)، المجادلة: (9، 11)، الحشر: (18)، الممتحنة: (13)، الصف: (2، 10، 14)، الجمعة: (9)، المنافقون: (9) التغابن: (14)، الطلاق: (10)، التحريم: (6، 9).

أما دلالة "الذين" على العهد المفهوم من تقرير شيخ البلاغيين السابق = فقد نص عليه كثير من العلماء حين يكون معنى جملة الصلة موجوداً عند المخاطب، نحو قوله -تعالى-: {إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ}.[104] فالصلة معهودة معروفة عند المخاطب -صلوات الله عليه- فيكون الاسم الموصول هنا كأل العهدية التي تعرّف المفردات.

وعلى هذا النحو جاءت آيات قرآنية تتعين في موصولاتها دلالة العهدية، لكونها نزلت بأسباب خاصة في شخوص معينين يستحيل تكرار نماذجهم وحوادثهم، فيتعين حمل "الذين" في أخبارهم على "العهدية" التي تتحقق فيهم، مثل آيات:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا}.[105]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ}.[106]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى}.[107]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ}.[108]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ}.[109]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ}.[110]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً}.[111]
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ}.[112]

- {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ}.[113]

ولا يخفى أن هذه الآيات تتحقق معانيها فيمن نزلت فيهم بأعيانهم المعهودة حين تنزلها، وإن ظلت عموم الأحكام مفتوحة للاستنباط في كل زمان ومكان.

فمثلا: كلمتا (راعنا) و (انظرنا) لا مجال لترادهما بالنص الآن، وإن كان هذا نموذجاً يستنبط منه ضرورة الوعي والحذر من اليهود في تعاملنا معهم، فإن أذاهم لا يحد ولا يعد، فهم لم يتركوا فرصة إلا اهتبلوها في الإيذاء، ولو بترداد مثل هذه الكلمة التي لا يؤبه بها، ولا يفطن لمقصودهم منها.

كذلك الشأن في المخاطبين بترك ما بقي من الربا، فإنهم قوم ممن كانوا قد احترفوا التربح من معاملات الربا في الجاهلية، وبقي معهم شيء من هذه الآثار بعد دخولهم الإسلام، فخاطبهم القرآن بحسم ما كانوا في شيء من السعة منه يوم حجة الوداع، يوم إكمال الدين وإتمام النعمة.

أما "الذين آمنوا" من بعد فلم يكن لهم مندوحة مثل أولئك، فالربا محرم عليهم تحريماً باتاً جازماً من أول أمرهم.

وإن كان أولو الأمر من علماء الاستنباط يفيدون فوائد تشريعية من هذا كله قد دونوها في مكانها.

وعلى النهج ذاته خوطب "الذين آمنوا" الذين كانوا ربما دخلوا الصلاة وعلى عقولهم غشاوة من تأثير الخمر التي لم يكن حسم الأمر في تحريمها.

وكذلك في النظوم الثلاثة التي وردت في شأن معاملة "الذين آمنوا" للنبي عليه الصلاة السلام وما يجب في حقه من آداب كثيرة قد فصلت الآيات الثلاث شيئا منها:

فالذين نهوا عن دخول بيوت النبي -عليه الصلاة والسلام- قوم معهودون في حياته وحياة أزواجه -عليهم السلام-، أما بعد وفاته ووفاة أزواجه فلا يمكن تحقق هذا إلا على سبيل العموم في حفظ حقوق هذه البيوت وصونها عما لا يليق من الأخبار.

ومثله: رفع الصوت فوق صوت الرسول -ﷺ- فلا مجال لخطاب ونهي غير المعاصرين لحياته الدنيوية - عليه السلام-.

وإن كان أهل العلم قد استنبطوا عدم جواز رفع الصوت في زيارته الشريفة تأدباً، ولكن يبقى الحكم الحقيقي متلازماً مع حياته وإمكانية مخاطبته حال محاورته، حتى يتحقق من النهي عن رفع الصوت فوق صوته.

وكذا: تقديم الصدقة عند مناجاة رسول الله -ﷺ- فهو مما تحقق للصحابة الذين عايشوه، وتناجوا معه -عليه السلام-.

وكذا المخاطبون بشأن قصة إخبار "حاطب" بشأن الإعداد لفتح مكة، وهو وإن كان مما يدخله العموم في التشريع للأحوال المناظرة = إلا أن إتباع: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.." بقوله سبحانه عن النهي عن اتخاذهم أولياء = "يخرجون الرسول وإياكم" قد جعلها قصة معهودة، خاصة ممن خوطبوا وباشروا إخراج الرسول وصحبه من مكة إلى المدينة.

وعلى نهجها: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} .[114] فظاهر حكمها يشمل كل من يتأتى معه الخطاب والنهي ممن دخل الإيمان قلبه إلا أن تعقيب هذا النهي بقوله -سبحانه-: {وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيم} .[115]

هذا التعقيب قد جعل الخطاب مع "الذين آمنوا" المعهودين من الصحابة الذين كانوا يحدث منهم السؤال = توجيها لهم بالتريث حتى ينزل في قضاياهم حكم قرآني يكون رحمة لهم.

فالخطاب -إذن- مؤقت بحين تنزيل القرآن، وهو وقت معهود، عاش فيه صحابة معهودون.

وهناك العديد من الآيات التي وردت فيها أساليب "الذين آمنوا" نداء وخطابا في مواقف بعينها، فيبدو فيها قصة العهد بداهة = إلا أن عموم الأحكام المفادة منها سرعان ما يقضي بتعين دلالة الجنسية العامة، مثل قوله -سبحانه-:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ...} .[116]

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا...} .[117]

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ...} .[118]

أساليب الموصول "الذين آمنوا" في آيات التشريع والتوجيه في صورة الخبر:

هذا الأسلوب ينص عليه علماء البلاغة حين يأتي الخبر مقصودا به الدعاء، ومثلوا له بقولهم: "فلان –رحمه الله–" وكأنهم استبشروا بإجابة الدعاء حتى كأن الرحمة قد شملته بشآبيبها، وها هو المتكلم يخبر عن أمر يرجى معناه بصيغة الخبر الماضي.

وقد جاء النظم القرآني بأساليب خبرية عن "الذين آمنوا" تشريعاً وتوجيهاً على سبيل الإخبار، وكأنهم التزموا هذه التشريعات، وصاروا متحققين بمقاماتها... يتجلى هذا في آيات:

– {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...}.[119]

– {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.[120]

– {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ...}.[121]

– {والذين آمنوا وكانوا يتقون...}.[122]

– {وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.[123]

– {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.[124]

ويلحظ أن الشواهد الثلاثة الأولى واردة في سورة الأنفال المدنية، وجميعها في شأن "الولاء والبراء" وهذا سياق من الأهمية بمكان في ذلكم الوقت الذي فصلت السورة فيه أحكام وآداب الجهاد حسبما تجلى من تجربة غزوة بدر.

والأظهر من هذا ورود هذه الآيات في خواتيم سورة الأنفال التي تشابكت مع سورة براءة الفاضحة لشأن المنافقين، الفاصلة في شأن العلاقة مع المشركين ذوي القربى من "الذين آمنوا"، فكان هذا ملائماً جدا لورود هذه الأحكام في "الولاء والبراء" وقد صيغت أوامره ونواهيه "للذين آمنوا" بأسلوب الخبر المراد به الأمر والنهي؛ مبالغة في إلزامهم بها وكأن أهل الإيمان قد التزموا هذه الأحكام، وها هو القرآن يحكي خبرها.

وفيه ما فيه من الإشعار بوجوب الالتزام وحتمية التطبيق السريع الشامل.

أما الأساليب الثلاثة الأخرى فإنها وردت في سور "يونس ويوسف والعصر" وكلها مكية، وكأن "الذين آمنوا" لم يتأهلوا بعد للتشرف بالنداء والخطاب المباشرين، وقد سلفت الإشارة إلى أن أسلوب "يا أيها الذين آمنوا" لم يرد إلا في السور المدنية.

٢- تعبير "الذين آمنوا" في سياق تبشيرهم في الدنيا والآخرة:

هذا سياق ورد فيه تعبير "الذين آمنوا" في صورة الخبر فقط، حيث وعدوا من ربهم الكريم بعطايا ومنح دنيوية وأخروية.. وإن كانت هذه الأخبار المبشرة جاء أكثرها مفيدا دلالة الأمر المغري بالتحقق بما عطف على "آمنوا" من أفعال الخير المتصاعدة في درج الكمال.

وهذا كما ترى يتساوق مع ما قرره الشيخان "الحرالي والبقاعي" من عموم دلالة "الذين آمنوا" بما يشمل كل من دخل الإيمان قلبه وإن كان من المحتم إضافة ملمح إلى كلامهما، وهو أن ما عطف على الفعل "آمنوا" هو الذي به تتفاضل طوائف "الذين آمنوا" فتنال من العطايا المتفاوتة بقدر درج الأعمال.

وبدهي أن أشهر هذه الأعمال وأكثرها شيوعا في القرآن: "وعملوا الصالحات"، ثم يأتي غيرها، مثل: "وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة"، و"آمنوا بالله واعتصموا به"، و"ولم يلبسوا إيمانهم بظلم"، و"وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه"، و"وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله"، "وتطمئن قلوبهم بذكر الله"، و"وعلى ربهم يتوكلون"، و"كانوا يتقون".

ومما تجب ملاحظته: أن هذه الأوصاف المفادة من الأفعال المعطوفة هي مناط استحقاق الجزاء المتنوع المبشر به في خواتيمها أو فواتحها، وذلك لاشتراك كافة من يندرج تحت "الذين آمنوا" في التلبس بأصل الإيمان، فبقيت المعطوفات هي الدالة على الصفات الفارقة، والتي على أساسها حدد النظم الكريم البشريات لهم في الدنيا والآخرة.

وبهذا يستبين أن "الذين آمنوا" صار جنسا عاما وسع التعبير به طوائف كثيرة، حددوا وخصصوا بما عطف عليهم من صفات، وهذا ما لا يمكن تحققه مع التعبير الناظر "المؤمنون" إلا في مواضع نادرة، كما إذا جاء معطوفا في آية: {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات...}.[125]

هذا، وتفصيل التلازم بين أنواع المعطوفات على "آمنوا" ودرجات البشريات مما يطول الحديث عنه، ويعوز إلى بحث مفرد، وإنما أفتح فيه المقال فقط بعرض موجز يبين التقابل والتنوع والتدرج عملا وجزاء:

– {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.(126)

– {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا}.(127)

– {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ}.(128)

– {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.(129)

– {الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خالِدِينَ فِيها أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}.(130)

– {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ }.(131)

وإذا كانت اللواحق في الشواهد السابقة هي التي قضت بتعدد البُشريات وتدرج الجزاء = فإن كثيرا من الشواهد قد قصر النظم فيها على "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" بدون معطوفات، ومع ذلك فقد تنوع الجزاء، وتعددت المنح المبشر بها.

وبدهيٌّ أن السياق السابق واللاحق لكل آية هو المقتضي لهذا التنوع، وشواهد هذا آيات:

– {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.(132)

– {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.(133)

– {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا}.(134)

– {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}.(135)

– {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}.[136]

– {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}.[137]

وعلى نهجها آيات:

يونس: (9)، الرعد: (29)، إبراهيم: (23)، الكهف: (30، 107)، مريم: (96)، الحج: (14، 23)، النور: (55)، العنكبوت: (7، 9، 58)، الروم: (45)، لقمان: (8)، السجدة: (19)، سبأ: (4)، فصلت: (8)، الشورى: (26)، مُحَمَّد: (12)، الانشقاق: (20)، البروج: (11)، التين: (6)، البينة: (7).

وفي الاهتداء بالسياقين الجزئي والكلي في السورة ما يقضي بتعدد البُشريات الممنوحة من الله – عز وجل– لـ"الذين آمنوا وعملوا الصالحات" وذلك نظراً لتعدد طبقاتهم، وتفاوت درجاتهم التي بها استحقوا هذا الجزء المتدرج حسب الطبقات، مع اشتراكهم جميعا في كونهم "آمنوا وعملوا الصالحات".

ويؤازر هذا التنوع إلى طبقات في العمل، ودرجات في الجزاء = ما اقتصر على الفعل "آمنوا" فقط دون لواحق أخرى معطوفة تقضي بالتنوع في العمل حسبما سبق بيانه، إذ إن الشواهد التالية قد اقتصر فيها الصدر على "الذين آمنوا" فقط، ومع ذلك تنوعت البُشريات، وتعددت صنوف الجزاء تنوعاً وتعدداً لا يفسر إلا بملاءمة السياق، مثل:

– {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا}.[138]

– {وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ..}.[139]

– {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}.[140]

– {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}.[141]

– {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}.[142]

– {وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}.[143]

– {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}.[144]

– {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ...}.[145]

– {سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفضل العظيم}.[146]

– {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}.[147]

ولئن ساغ أن نوجه ما ترتب على "الذين آمنوا" فقط من البشريات المذكورة بكونها في مجال التثبيت كما في آيات: الأنفال: (12)، إبراهيم: (27)، النحل: (102)، ومجال النصر كما في الحديد: (21)، ومجال التأييد في الحرب كما في الصف: (14)، ومجال دفاع الله عنهم كما في الحج: (38)، والهداية الملازمة لهم كما في الحج: (54)

إذا ساغ لنا أن نقول إن استحقاق هؤلاء "الذين آمنوا" التثبيت والنصر والتأييد، والدفاع بمجرد الإيمان ولو بأقل درجاته كما عبر الشيخان الجليلان = فإنه لا يسوغ أن نعتقد أن آية يونس، وآيتي الحديد تنال بُشرياتها بأقل درج الإيمان، أو بالإقرار باللسان، أو ... إلخ.

وذلك لأن "الذين آمنوا" لا تكون لهم قدم صدق عند ربهم إلا بعد مجاهدات، وعقبات يجتازون مراحلها وأطوارها حتى يصلوا إلى مقام الرسوخ المعبر عنه في البشرى: "أن لهم قدم صدق عند ربهم"، وكذا في آية الحديد الأولى، إذ إن رتبة الصديقية التي جوزي وبشر بها "الذين آمنوا بالله ورسله" هي أعلى درجات القرب المكتسبة، ولا يفضلها إلا درجة النبوة الممنوحة تفضلا واصطفاء، ولا سبيل إلى اكتسابها.

وكذلك الشأن في آية الحديد الثانية: إذ إن الأمر بالمسابقة إلى المغفرة، والجنة التي عرضها السموات والأرض = قد سبق الإخبار بأنها قد أعدت "للذين آمنوا بالله ورسله"، الذين وصفوا في الآية السالف تحليلها (الحديد: 18) بأنهم "الصديقون" دونما عطف أفعال أو صفات أخرى تخصص هؤلاء الذين اقتصر النظم على الإخبار عنهم بأنهم "آمنوا بالله ورسله".

يضاف إلى هذا ما زيد لاحقا من تعقيب الجزاء المبشر بما يعلي درجته، ويرفع شأنه بقوله – سبحانه– عقيبه: {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}.

وهذا ما يقوي ما ذكرته سابقا من أن ما قرره الشيخان الفاضلان "الحرالي والبقاعي" من كون تعبير "الذين آمنوا" يمثل أدنى درج الإيمان يحتاج إلى تقييد "بكونه في الغالب والأكثر".

وإلا فإن الشاهدين الأخيرين ليؤكدان أن الذين نالوا هاتين الرتبتين العظيمتين لم يتحدث عنهم القرآن إلا بكونهم "الذين آمنوا" دون عطف أي صفة أو فعل مما سبق في المجموعة السابقة، وتنوعت بها البُشريات، وتعاظمت بها الدرجات.

فإذا ما عدنا إلى تحقيق نوع "الذين" في هذا السياق من حيث دلالتها على الجنس والعهد وجدنا الكثرة الكاثرة من شواهده يدل الموصول فيها على الجنسية التي تتسع آفاقها لتشمل كافة الدرجات التي ورد التبشير بها.

ولم يدل الموصول على "العهدية" إلا في مواضع معدودة، هي:

– {فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}.(148)

– {وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.(149)

– {وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}.(150)

– {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا}.(151)

– {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الفائزون}.(152)

– {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ}.(153)

– {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}.(154)

فهذه الشواهد السالفة وردت فيها "الذين" بدلالة "العهدية" كما سبق ذكره من الدلالة على مدخولها في آية الصف، ولكون المنجين معهودين بكونهم أصحاب "صالح" –عليه السلام– لورود الموضعين لقصة هلاك "ثمود" في النمل وفصلت، ولتخصيص موضع الأنفال بالحديث عن قوم مخصوصين عهدوا بالحديث في ثنايا ذكر قصة غزوة بدر.

وكذا موضع التوبة فإنه وارد في سياق المقارنة بين الكافرين المتباهين بعمارة المسجد الحرام وبين "الذين آمنوا وهاجروا" ولا ريب أن هؤلاء معهودون من أصحاب النبي، بل ورد التخصيص بفرد منهم.(155)

– تعبير "الذين آمنوا" في سياق ضميمة الله ورسوله وصالحي المقربين:

ورد تعبير "الذين آمنوا" في هذا السياق على أنماط متعددة:

فتارة يعطف على لفظ الجلالة (الله) فيكتسب تشريفا، وتعظيما، ومهابة، وإجلالا، مثل قوله – تعالى– عن المنافقين:

– {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}.(156)

– {كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا}.(157)

وتارة يعطف على لفظ "الرسول" أو "النبي" المقصود بهما سيدنا مُحَمَّد المعطوف على الله –عز وجل–، وقد ورد هذا النمط فى سياق الموالاة لله ورسوله في شاهدين:

– {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}.(158)

– {وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ}.(159)

وأكثر شواهد هذا السياق وردت بعطف "الذين آمنوا" على "الأنبياء"، ولها في هذا سياقات جزئية متعددة:

ففي مقام الكرب حين يشتد البلاء، ويتسلط الأعداء على الرسول وأهل الإيمان، ويطول زمان الفتن = يضم النظم الكريم "الذين آمنوا" إلى رسل الله، بل ويقرن الظرف (معه) إفادة لكمال الصحبة، وشدة الملازمة، كما في قوله –سبحانه– عن سنته في ابتلاء الأنبياء وحوارييهم:

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}.(160)

وجاء هذا أيضا في وصف المواجهة بين "طالوت وجالوت" إذ صور النظم الكريم حال طالوت وجنوده، فقال: {...فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ}.(161)

كما جاء هذا على لسان الملأ المستكبر من قوم شعيب –عليه السلام–: {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ}.(162)

كذلك كثر هذا في سياق اتجاه الله لرسله والذين آمنوا عند نزول العذاب الدنيوي، وقد يرد الخبر عاماً كما في: {فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذلِكَ حَقًّا عَلَيْنا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ}.(163)

وقد يكون الاتجاه لطائفة خاصة، كما جاء في شأن هود –عليه السلام– ومن معه:

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ}.(164)

وكذلك في حق صالح –عليه السلام– ومن معه: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ}.(165)

وكذلك في حق "شعيب" –عليه السلام– ومن معه: {وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ...}.(166)

وقد يأتى هذا في سياق الجهاد: {لكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُوَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.(167)

وقد يأتي في سياق تفنيد مزاعم عقدية لليهود والنصارى، مثل: ادعاء صدر عن كل منهما بانتساب إبراهيم –عليه السلام– إليهم: {إ نَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}.(168)

وقد يأتي في سياق سوق البشرى للنبي والذين آمنوا معه يوم القيامة عند تفاقم أهوالها، كما في آية: {...يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ...}.(169)

وقد يأتي هذا العطف في سياق حرج بالنهي عن الدعاء للمشركين من ذوي القربى، كما في آية: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}.(170)

وجلى في كل ما سبق عرضه: أن تعبير "الذين آمنوا" قد ورد في مقامات تشريف وإجلال حتى إنه لمن المحال أن يفهم منه "تحقيق أدنى درجات الإيمان"، بل إن المتيقن أن "الذين آمنوا" عندما عطفوا على لفظ ذي الجلال –سبحانه– في التعبيرين الأولين: {يخادعون الله والذين آمنوا...}،(171) {...كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا}.(172)

عندما عطفوا هذا العطف، وأتبعوا هذا الإتباع قد نالوا أعظم تشريف يمكن أن يناله مخلوق: فأما في آية البقرة فيكفي أن هذا العطف يؤذن بقوة اختصاصهم بعناية الله، وأنهم من الله بمكان حيث صار خداعهم من خداع الله ذي الجلال.(173)

وأما في آية غافر: فيكفي أن العطف قد ارتقى بـ"الذين آمنوا" هنا إلى أن صاروا من خاصة الله –عز وجل– وصارت عقولهم موازين للحق والباطل لاستلهامها من نور الله، وهذا ما يخالف التعميم الذي يفهم من كلام "الحرالي والبقاعي" –رحمهما الله تعالى– من جعل "الذين آمنوا" أول درج الإيمان ... إلى آخر ما ذكره من تفسيرات لها.

ويقطع في هذا كون البقاعي -ﷺ- ذاته عندما تعرض لآية غافر قال: "(كبر) أي: عظم هو...، (مقتا عند الله) أي: الملك الأعظم، (وعند الذين آمنوا) أي: الذين هم خاصته ".[174] ولا يرتاب أحد في أن "خاصة الله" لا يكونون في أول الدرج، بل في نهايته، ومرقاته العظمى.

وبالتبع لهذا: فكل ما جاء في سياق العطف على الأنبياء، أو رسولنا الأعظم -صلوات الله عليهم أجمعين- إنما يفاد منه أيضا عموم هذه الدلالة، وإن كان كل بحسبه.

تبقى إشارة: وهي أن بعض الأساليب قد ورد فيها عقيب ذكر "الذين آمنوا" التقييد بالظرف (معه) كما في آيات الجهاد، والإنجاء من العذاب الدنيوي والأخروي، وذلك في: البقرة: (214، 249)، الأعراف: (88)، التوبة: (88)، هود: (58، 66، 94)، التحريم: (8).

ومن لطائف النظم المعجز: ما أثبته الإمام البقاعي -ﷺ- من أن الظرف (معه) هنا يمكن أن يتعلق بالفعل (آمنوا) فيشير إلى كمال الصحبة التي اقتضت الإنجاء أو كمال الاستغراب من قول الرسول، ومن كملت صحبتهم له (متى نصر الله) مبالغة في وصف الشدة، والابتلاء، و الزلزلة.

ويمكن أن يتعلق الظرف (معه) بالفعل الأول (يقول، جاوزه، لنخرجنك، ونجينا) وهذا من ثراء الدلالة، ولا مانع من قصد الوجهين معاً فهما متكاملان.

ولا شك أن هذه المقامات لا يستأهلها إلا من كملت صحبته، ورسخت مودته، من حواريي الأنبياء وأصفيائهم؛ لأن مقام الجهاد لا يثبت فيه حول الأنبياء إلا الراسخون من أصحابهم، ومقام الإنجاء لا يستأهله إلا من علم الله كمال يقينه فتدركه الرحمة والعناية عند حلول الانتقام العام والإخزاء الطام.

والذي لا يخفى أن لفظ (معه) في هذه السياقات إنما هو شارة خاصة بدرجة خاصة لا ينالها إلا من اكتحلت أعينهم برؤية الأنبياء وخصوا بشرف الصحبة واصطفاهم الله ليكونوا حواريين لمن اصطفاهم للرسالة والنبوة.

لذا: لا نجد هذا التقييد في آية آل عمران (68): {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا..}؛ لأنه حكم عام، لا يقتصر على من نال مرتبه صحبته، بل هو عام يناله كل من آمن به -عليه السلام-.

وكذا في آية التوبة (113): {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ...}؛ لأن حكم منع الاستغفار للمشركين عام، يشمل من كانوا في صحبته –عليه السلام– ومن جاءوا بعدهم من "الذين آمنوا" إلى يوم الدين.

ومثله في حكم الولاء "لله ورسوله وللذين آمنوا" في آيتي المائدة (55، 56): فإنه أيضا حكم شرعي عام، تصان به بيضة الدين وتحمى به حوزة الإسلام، ولا تسامح في وجوب الالتزام به من كل من يندرج تحت ظلة "الذين آمنوا" في كل زمان ومكان.

وكذلك في آية يونس (103): {ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ} فإن إنجاء الله للذين آمنوا لا يقيد بكونهم معهم من أصحابهم، وحوارييهم، بل هذا تفضل عام يشمل فيه الوعد الكريم كل من آمن، وعاش في كنف نبي، أو جاء بعد انقضاء رسالته، لكنه ترسم أثره، وأيقن برسالته.. فهذا بلا ريب ممن يشمله إنجاء الله.

ومما يدعم هذا الفهم التعقيب الخاتم للآية ذاتها: {كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ}؛ إخراجا لهذا التبشير من الخصوص الزمني في صحبة المرسلين إلى العموم الذي يشمل كافة المؤمنين في كل زمان ومكان.

وعليه: فلا أرى وجها لما قدره البقاعي –رحمه الله – عند تفسير هذه الآية بقوله "والذين آمنوا" أي: بالرسل، وهم معهم في زمانهم، ولو كانوا في أدنى درجات الإيمان تشريفا للرسل، فإنهم بصدد الرسوخ بملازمتهم".[175]

وإذا كانت السياقات في غالبها تقتضى دلالة "الذين آمنوا" على الجنسية في الأعم فإن هذا السياق خاصة قد جاءت دلالة "الذين آمنوا" في أكثره على العهدية، لتخصيصهم بالصحبة أو لارتقائهم بالمعية الإلهية، حيث عطفوا على لفظ الجلالة ... فآية: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ...}[176] الموصول فيها عهدي يعني به صحابة رسول الله له ممن وقعت معهم المخادعة من المنافقين.

ونظير لهذا ما جاء في آية التوبة (88): {لكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ...} فالتعبير هنا مختص بأصحاب رسول الله الذين قاسموه تكاليف الجهاد، ومهالك الحروب ضد المشركين والكافرين، فالموصول فيها للعهد.

وكذا ما ورد مع طالوت وشعيب وهود وصالح فما ورد فيها من تعبير "الذين آمنوا" من الموصول العهدي؛ لأن فيها إشارات إلى أصحابهم المعهودين، وفيه من التشريف ونباهة الذكر ما فيه.

بقي موضع التحريم (8): {يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ..} والموصول فيه للعهد أيضا حيث جزم الألوسي بأن (ال) في (النبي) للعهد، مرادا به سيد الأنبياء -ﷺ-كما قرر البقاعي من قبل أن (والذين معه) هم أصحابه عليه الصلاة والسلام.[177]

أما أساليب "الذين آمنوا" التي تفيد الجنسية هنا فإنها تشترك في مقصد العموم، وإشاعة الحكم أو الخبر كما في آية: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا}..[178] إذ إن كل من آمن برسول الله، وسلك في نظم أمته الشريفة يكون تابعة لنبيه الكريم في أحقيته بإبراهيم -عليه السلام- دون اليهود والنصارى.

وكذا في آيتي:

- {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا}.[179]
- {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا}.[180]

وكلتاهما تفيد حكما عاما في "الولاء" يناسبه اعتبار الموصول هنا مفيدا للجنسية.

وكذا الحكم التشريعي العام المفاد من آيتي: التوبة (113)، وغافر: (35).

4- تعبير (الذين آمنوا) في سياق المقارنة بين الفريقين:

ورد هذا في سياق خاص حيث يقصد إلى تمييز أحوال أهل الإيمان من أحوال أهل الكفر في مختلف الدرجات والدركات، ولما كان الإيمان يثبت للمؤمنين في الدنيا والآخرة بمجرد نبذ الكفر مع الالتزام بالفرائض واجتناب الكبائر = كان كافياً في هذه المقارنة أن تثبت أولى درج الإيمان ليتحقق المقصد من عقد المقارنة بين أحوال الفريقين.

وقد جاء هذا في سياقات جزئية متعددة تبين بالعرض التالي:

في سياق المقارنة بين معتقد الفريقين، والتنويه بتوفر اليقين فيه سواء تعلق بالإسلام والقرآن كما في آيتي:

- {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ}.[181]
- {ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ}.[182]

أو تعلق اليقين بمجيء الساعة كما في آية الشورى: {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزانَ وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ*يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْها وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ}.(183)

وكذا المقارنة في بيان موقف كل فريق مما ضرب الله في القرآن الكريم من أمثال، كما في آية: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا...}.(184)

ويلحق بهما وصف أثر تنزل القرآن على الفريقين في قوله –عز وجل–: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُأَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى}.(185)

وينتج عما سبق تناقض أثر هذا في قلوب الفريقين ومشاعرهما كما تجليه آية:{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}.(186)

وآية: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَهَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ*وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}.(187)

وآية: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}.(188)

كما سجل النظم الكريم تناقص أثر الإيمان والكفر على سلوك المتصفين بهما كما تجليه آيات:

– {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}.(189)

– {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ}.(190)

– {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ}.(191)

– {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ

مَثَلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ}.[192]

وكان من نتيجة ما تقدم عرضه من تناقض الفريقين في المعتقد والسلوك أن تباين حكم الله عليهما بما تفسره الآيات التالية:

– {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}.[193]

– {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ}.[194]

وقد ترتب على جميع ما مضى من التزام "الذين آمنوا" بما أنزل الله معتقدا وسلوكا ظاهرا وباطنا أن نالوا ولاية الله التي لا يرام كنفها كما تثبته في نتيجة مقارنة حاسمة آية: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ}.[195]

وهذا كما يمثل النتيجة والبشرى الدنيوية على ما قدموا من إيمان وعمل صالح فإنه أيضا يبشر بما جوزي به الذين آمنوا من رضوان كريم وثواب عظيم قد تولت تفصيله الآيات التالية:

– {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.[196]

– {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}.[197]

– {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}.[198]

ونظائر لها آيات: الأعراف: (42)، ويونس: (4)، الحج: (50)، السجدة: (19)، سبأ: (40)، فاطر: (7)، الشورى: (22)، الجاثية: (30)، الحديد: (27)، الطلاق: (11)، المطففين: (34).

ونظرة أخرى في الآيات نرى أن الموصول "الذين آمنوا" فيها قد جاء بدلالة الجنسية إلا في موضعين فقط هما:

– {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}.[199]

– {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}.[200]

ف(الذين آمنوا وقالوا لولا نزلت سورة) هم من أصحاب رسول الله خاصة، فهم معهودون معنيون من جنس طوائف "الذين آمنوا" بدليل السباق واللحاق وتوجيه الخطاب لرسول الله برؤية أهوال الفزع الذي تملك المنافقين عند فرض الجهاد بآيات محكمة.

وكذا في آية الحديد: الحديث عن أتباع عيسى –عليه السلام– ومدى اتباعهم وابتداعهم، والتفرقة بين حالي "الذين آمنوا" منهم، والفاسقين.

فالموصول هنا عهدي يرجع إلى من تمسك بهدي الإنجيل، واقتفى أثر المسيح –عليه السلام– دون بقية "الذين آمنوا" من قبل ومن بعد.

ونظرة ثالثة تؤكد أن "الذين آمنوا" في الشاهدين لا يتحقق فيها ما ذكره الشيخان من الدلالة على المباشرة الظاهرة أو اللسانية، أو كونهم في أول درج الإيمان، بل إن الذين قالوا هذا هم المؤمنون الصادقون الذين صدقوا الله ورسوله كما عبر أئمة التفسير في تأويل آية مُحَمَّد: (20).[201]

وكذلك الأمر بالنسبة لآية الحديد (فالذين آمنوا منهم) هم حواريو عيسى–عليه السلام– وأتباعهم الذين جاهدوا أعداءهم وتحملوا أذاهم كما جاهدوا الذين حرفوا دين عيسى، وبدلوا من بعده، فهم من المجاهدين الكمل، فلا يوصفون بما سبق إيراده في معنى التعبير عن الشيخين الفاضلين.

وما خلا الموضعين السالفين من الشواهد الواحد والثلاثين كلها مفيدة للجنسية، حيث إرادة العموم والاستغراق لكل من دخل تحت هذا التعبير من أفراد، فكل أفراد "الذين آمنوا" (أشد حبا لله) و(يقاتلون في سبيل الله) و"زادتهم آيات الله إيمانا وهم يستبشرون" و(لهم مغفرة وأجر عظيم) ... إلخ ما ورد من وصف أحوالهم، ودرجاتهم، وجزاء الله لهم.

كل هذا ثابت لكافة من يندرج تحت جنس "الذين آمنوا" لا يند منهم أحد بمقتضى صدق إخبار الله، وصدق موعوده –ﷻ–.

وأضيف أن آية آل عمران: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِين}[202] وإن كان العموم يشملها في دلالة الجنس بحكم أن ما قضت به ثابت للمؤمنين بعيسى، وغيرهم من كل من آمن برسالة رسول = إلا أنه يجوز حملها على "العهدية" على اعتبار أنها واردة في سياق الحديث عن المسيح –عليه السلام– وموقف أتباعه منه وبيان مصيرهم:

فقبلاً كانت آية: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ* فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}.[203]

وعقيبها آيتا: {ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ* إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}.[204]

وعلى هذا الأخير كان تأويل البقاعي للآية وتعبير "الذين آمنوا" حيث قال، .... ولم يقل: "وأما الذين اتبعوك لئلا يلتبس الحال، وإن كان من اتبع النبي فقد اتبعه في بشارته به والأمر باتباعه، بل قال: وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات...؛ لأن هذه ترجمة الذين اتبعوه حق الاتباع".[205]

وإن كان الشيخ الجليل في تأويله هذا مخالفاً للقاعدة التي أول بها هذا الأسلوب، وكانت مثار هذا البحث كله.

– تعبير "الذين آمنوا" في سياق وصف أحوال أهل الشمال وحكاية أقوالهم:

جاء أسلوب "الذين آمنوا" في هذا السياق على أنماط متعددة: تارة بالحكاية لأقوال الكافرين، وتارة بالوصف لأحوالهم المتعددة التي سلكوها في الصد عن الإسلام، وإثارة الشبهات حول كتابه العظيم: حينا بصريح القول وسافر العداوة، وحيناً باللمز والتعريض والمرواغة.

فمما ورد في سياق المراوغة والنفاق:

– {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُون}.[206]

– {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}.[207]

– {وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.[208]

وقريب من هذا الوادي –وإن كان فيه انكشاف– قوله سبحانه: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}،[209] {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ}[210]

وسياق آخر: يتجلى فيه إيذاء الكفار الذين آمنوا بألوان شتى من صنوف فحش القول والعمل مماراة بالباطل وتمويها ... مثل:

– {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}.[211]

– {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}.[212]

– {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}.[213]

وتارة: يعملون على نشر الرذائل في صفوف "الذين آمنوا" ويرغبون فيها بكافة الوسائل كما صورته آية: {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا... }.[214]

وأخرى: يحرصون على الانتقام من "الذين آمنوا" كما جاء على لسان فرعون وملئه: {فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}.[215]

ثم في مشهد أخروي مهيب يتجلى فيه الحق، ويتوسل فيه. المنافقون للانتفاع بالذين آمنوا، وهيهات: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ...}.[216]

بقيت آية فريدة النظائر في القرآن تصور مدى ما يكون عليه أهل النكوص والارتداد في قوله – سبحانه وتعالى–: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا}.[217]

وبعد هذا التصنيف حسب السياقات الجزئية أعود فأقرر: أن هذا السياق قد فاقت نسب دلالة العهدية فيه على الجنسية في تعبير "الذين آمنوا" حيث ظهرت فيه العهدية في آيات: البقرة: (14، 76)، وآل عمران: (72)، والنساء: (51، 137)، والنور: (19)، والعنكبوت: (12)، ويس: (47)، وغافر: (25)، الأحقاف: (11)، فهذه مواضع عشرة.

على حين لم ترد دلالة الجنسية في "الذين آمنوا" إلا في مواضع ثلاثة، هي: البقرة: (212)، الحديد: (13)، والمطففين: (29)؛ وذلك لدلالتها على العموم الشامل لكل من دخل الإيمان قلبه.

وأما آيات المجموعة الأولى فهي في حق أصحاب رسول الله –ﷺ– الذين كان الجدل معهم، والمراوغة وإثارة الشبه في مواجهتهم، اللهم إلا ما خص "الذين آمنوا" من بني إسرائيل في تهديد فرعون في آية غافر: (25).

وقد يلحظ بعض أهل النظر أن آيات: النور: (19)، والعنكبوت: (12)، يس: (47) مع دلالتها على العهد بخصوص الآي إلا أن هذه الأحوال والأقوال يمكن توجهها لعموم "الذين آمنوا" في كل زمان ومكان، فتكون الدلالة على الجنسية، وهذا لامشاحة فيه، فإن تغاير مناط النظر والاعتبار يمكن أن يوجه الدلالة إلى منحى خاص، وله شواهد كثيرة لدى أهل العلم.

أما من حيث الدلالة على درجات الإيمان في النظوم السابقة فإنه كثيرا يعبر فيه بـ"الذين آمنوا" عن أرقى درجات الإيمان طالما أثبت التحقيق أن المقصود به الطائفة المخصوصة من الصحابة أو من مؤمني قوم موسى –عليه السلام–.

وفي الشواهد مالا يصح حمله إلا على ما قاله البقاعي، مثل آية النساء: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا .. }[218] إذ لا يكون هذا النكوص المخزي المتكرر إلا من قوم تلبسوا بالإيمان تلبسا ظاهريا طارئا دون أن تخالط بشاشته القلوب، وإلا لما كان هذا الارتداد المتكرر المفضي بهم في النهاية إلى سوء المصير.

ويمكن اعتبار الآيات التي دل فيها الموصول "الذين آمنوا" على الجنسية قريبا أيضا من فهم البقاعي مع فارق جوهري بينهما وبين دلالة الآية السابقة هو الفرق بين من ختم له بالإيمان

بشهادة تعبير القرآن، ومن كانت عاقبته سوء الخاتمة –والعياذ بالله–كما دلت عليه تناقضات الأحوال في تصوير آية النساء السالفة.

– تعبير "الذين آمنوا" في سياق تحقيق الخلاف في الدين:

ورد هذا التعبير في سياقات جزئية تحت عموم السياق المترجم به بما يجليه التفصيل التالي:

في سياق تعميم حكم اشتراط الإيمان والعمل الصالح للنجاة والفوز يوم القيامة كما في قوله سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.[219]

ومثلها آية المائدة: (69)، والحج: (17)، مع فروق في نظم ثلاثتها تقديماً وتأخيراً وزيادة ونقصاناً، توجيهه كتب أئمة المتشابه.

في سياق تحديد مواقف فرق أهل الكتاب من "الذين آمنوا" في قوله –سبحانه وتعالى–: {لتجدن أشد الناس عدواة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ}.[220]

وفي سياق جدال "الذين آمنوا" مع الكافرين والتعقيب عليه، كما في آيات:

– {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ}.[221]

– {وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ}.[222]

– {أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}.[223]

– {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون}.[224]

– {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ

الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}.[225]

وقد جاءت دلالة "العهدية" مفادة من "الذين آمنوا" في سبعة مواضع من التسعة الواردة هنا، وذلك في آيات البقرة: (62، 213)، المائدة: (53، 69، 82)، الحج: (7)، الشورى: (45).

وموضعا دلالة الموصول هنا على الجنسية هما في الأعراف: (32)، والرعد (31)، ولا يخفى توجيه الاعتبارين في شواهدهما: إذ سبق فيما مضى ما هو نص فيما هنا.

وينبه هنا إلى أن معظم مواضع هذا السياق تتمشى مع فقه البقاعي لدلالة تعبير "الذين آمنوا": حيث جمع في آيات {إن الذين آمنوا والذين هادوا...}،[226] مع النظم الكريم مع "الذين آمنوا" طوائف اختلطت عقائدهم وأعمالهم فساداً وصلاحاً، بيد أن خبر المبتدأ هو الذي حدد السبيل الأوحد للنجاة: (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا...) وفي هذا إشارة إلى أن "الذين آمنوا" تعبير يعم من كان في أول درج الإيمان حتى ساغ الإخبار بما سبق توضيحه.

ومما يؤكد حتمية ربط دلالة "الذين آمنوا" بالسياق الجزائي للشاهد أن العلامة البقاعي –رحمه الله– قد فسر موضعين في آية واحدة بدلالتين متفاوتتين، أولاهما: على نهجه في قوله –سبحانه–: {لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا...} أي: أظهروا الإقرار بالإيمان فكيف بالراسخين فيه؟! وثانيهما: على مقابله في قوله في الآية ذاتها: {لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا..} أي: أوجدوا الإيمان بالقلب واللسان.[227]

وعلى الدلالة الأولى وردت دلالتا تعبير آيتي الأعراف: (32)، والرعد: (17)، وعلى الثانية وردت دلالتا تعبير آيتي البقرة: (213)، والمائدة: (53).[228]

بقيت عدة شواهد متفرقة على عدة سياقات جزئية، مثل: ما جاء في سياق الابتلاء والتمحيص في شواهد:

- {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ}.[229]
- {وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين}.[230]
- {وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين}.[231]

وتعبير "الذين آمنوا" في الشواهد الثلاثة متمحض للعهدية قصدا لمن محضهم الله بالابتلاء، وسبق في علمه المحيط ختم الإيمان.

وإن كان في كلام البقاعي هنا ما يستوقف الباحث، فليراجع.[232]

كذا ما جاء في سياق جدل الرسل مع مخالفيهم في الدعوة، كما في آية: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ}.[233]

فنوح –عليه السلام– يقصد بـ"الذين آمنوا" قوما معهودين هم الذين صدقوا بدعوته، ولا ريب أن هؤلاء قد بلغوا غاية الصدق، وسنام درج الإيمان؛ إذهم الذين أنجاهم الله معه في الفلك.

ولا أدل على ما أزعم من عظم درجة هؤلاء من أن النظم القرآني قد عبر عنهم في الموقف ذاته بقوله –سبحانه– على لسان نوح –عليه السلام–: {وما أنا بطارد المؤمنين}.[234]

فهذا التشابه قاطع في أن المقصود بين التعبير الأول هم المقصودون بالتعبير الثاني الذي قرر البقاعي تبعا لشيخه الحرالي –رحمهما الله– دلالة الصدق والرسوخ فيه.

وأعيد القول الذي أظنه صوابا من أن السياق الجزئي هو الذي يقضي بإيثار اختيار أحد التعبيرين على نظيره، وأن كلا من التعبيرين قد يشي سياقه بغير الظاهر المشهور.

هذا، وتفصيل الفارق بين تعبيري نوح فيما قصه القرآن الكريم: (وما أنا بطارد الذين آمنوا)، (وما أنا بطارد المؤمنين) قد فصلة العلامة.

– في سياق التحقيق بوصف الإيمان الراسخ ما جاء في آيتي:

– {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }.[235]

– {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}.[236]

وهاتان الآيتان أقوى ما يظهر فيه ترجيح فهم الحرالي والبقاعي –رضي الله عنهما– حيث إن تعبير (المؤمنون) فيهما قد اكتنز ما يفيد ارتقاء الموصوفين به درجات عُلى، إلا في مواضع خاصة، وأنه قد تضمن –إلى جانب مطلق الإيمان– تحقق أعمال صالحة حتى يرسخ الإيمان بما ورد بيانه مراعىً فيه السياقات الخاصة، مثل: أمر الاستئذان من نفرة الجهاد في سورة "النور"، وعدم الارتياب، والمجاهدة بالمال والنفس في سورة "الحجرات".

وفي الموضعين فصل مجمل دلالة "المؤمنون" بمفصل دلالة "الذين آمنوا" وما عطف عليها في الموضعين من قوله: {وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ}.[237]، وقوله: {ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله}[238]، ونظير للموضعين موضع ثالث في القرآن هو: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}.[239]

وفي تفصيل توجيه متشابه الشواهد الثلاث ما يعوز إلى مقام أطول حتى يفصل القول في سياقاته الكلية للسور الثلاث، والجزئية لشواهدها، فينكشف التلاؤم المعجز في كل موضع.[240]

ويلحق بتعبير "الذين آمنوا" تعبير "الذين يؤمنون":

نقل البقاعي عن الحرالي أن خطاب القرآن يتوجه لكل أولي سن على حسن سن قلوبهم، لا يصلح خطاب كل سن إلا له، يتقاصر عنه من دونه، ولا يحتاج إليه من فوقه، وهي أسنان متعددة: سن الإنسان، ثم سن الناس، ثم سن الذين آمنوا، ثم سن الذين يؤمنون، ثم سن المؤمنين، ثم سن المؤمنين حقا، ثم سن المحسنين.. هذه أسنان سبعة، خطاباتها مترتبة بعضها فوق بعض، وفي انتظام تفصيل هذه الرتب جامعة لما يقع من معناه في سائر القرآن.[241]

وفيما سبق إيراده عن الإمامين ما يقرر أن رتبة "الذين يؤمنون" ترقى درجة فوق "الذين آمنوا" وهذا حسبما ورد عليه النظم القرآني.

وإن كان على هذا التقرير واحدة فهي أن من أصحاب هذه الأسنان السبعة، من لم يرد منادى ولا مخاطبا في القرآن كالتعبير الذي معناه "الذين يؤمنون" إذ كل ما ورد من مواضعه في القرآن على سبيل الخبر فقط، وذلك بينٌ في مواضعها السبعة والعشرين في القرآن الكريم.

ومعظم المواضع جاء على سياق نفي الإيمان نفيا مجددا لاسيما المتعلق بالآخرة كما في: {وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ}[242] ومثلها آيات: الأنعام: (150)، والنحل: (22، 60)، الإسراء: (10، 45)، والمؤمنون: (74)، والنمل: (4)، والزمر: (45)، والشورى: (18)، والنجم: (27).

أو متعلقا بلفظ الجلالة، مثل: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر}[243]، ومثلها آية التوبة (45).

أو متعلقة بالآيات كما في النحل: {إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله}[244]، وكذا النحل: (105).

وقد يطلق الإيمان المنفي عن التقيد بواحد مما مضى كما في: {وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ}[245] ومثلها آيات الأعراف: (27)، فصلت: (44).

وقد ورد تعبير "الذين يؤمنون" في سياق وصف الأحوال المتجددة لأهل الإيمان في أربعة مواضع، هي:

- {... وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِوَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}.[246]
- {لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ... }.[247]
- {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ج ...}.[248]
- {لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا...}.[249]

وسياق الحث على الصدق في موالاة الله ورسوله في مواقف الجهاد غالب على هذه الشواهد كما يبدو من استعراض المواضع الثلاثة الأخيرة.

وهو بلا ريب يحتاج من جند الله تجديداً دائما للعهد مع الله، وتقوية لعرى الإيمان حتى يثبتهم الله في مثل تلك المواقف التي تزل فيها أقدام كثيرة ممن باشرت الإيمان.

وكذا في موضع الأنعام (92): {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِوَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} فإن السياق المكتنف يكشف عن هول المقام واضطراب الأفئدة، وزيغ العقول التي تلبست بالإيمان زمنا، ولكنها لم تتعهد إيمانها بالاعتصام بالله، فأضلها الشيطان، وانحرفت عن المحجة.

ففي سياق الشاهد:

- {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ}.[250]
- {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ...}.[251]

وجلي أن الآيات تصور مسالك شتى للكفر، وضلالات متعددة النزعات، وكل هذا لا عصمة منه إلا بإيمان متجدد في سائر الأحوال، وهذا ما يدل عليه المضارع (يؤمنون) دون سواه.

كما ورد تعبير "الذين يؤمنون" مرتين في سياق التبشير ببلوغ الدرج الأعلى كما في شاهدي آيتي البقرة (3، 4): {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}.

والنظرة العجلى تكشف اطراد مضارعية الأفعال في هاتين الآيتين:

يؤمنون، يقيمون، ينفقون، يؤمنون، يوقنون.. وتوجيه هذا قريب مكاشف؛ إذ إن درجات القرب والفلاح لا يستأهلها إلا من كان مواليا لله بأعمال الطاعة والإحسان، فكانوا جديرين بأن يشهد لهم رب الجلال -سبحانه-: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.[252] وفي دقائق نظم الجزاء التي بشر به ما ينبئ عن استحقاقهم درجات تقاصر دونها الخواطر كما تقاصر في كشفها البيان: تأمل الإشارة البعيدة (أوثق) الدالة على تسامي المكانة مع دلالتها على أن أصحاب الأحوال السابقة هم جديرون بما جاء بعدها من على الدرج، ثم تكرار هذه الإشارة مع البشرى الثانية تنصيصاً وتخصيصاً.

ثم اختيار الحرف (على) الدال على استعلائهم وتمكنهم فوق مقامات الهدى وأنهم من ذوي الرسوخ والتمكين، ولو جاء غيره لأوحى بأنهم من أصحاب السير والتلوين.

وفي تنكير (هدى) ما يشي بالتعظيم وأنه خاص لا يدرك كنهه إلا ذو الجلال والإكرام.

وفي مجئ الفصل بالضمير (هم) مع تعريف (المفلحون) ما يقرر بالقصر الحاسم أن درجات "أولئك" في الفلاح مقصورة عليهم، لا يصل إليها من أهل البر والتقوى أحد، وإن شاركهم في الهدى والنجاة.

بقيت بعض السياقات الأخرى التي ورد فيها لفظ (يؤمنون) فاصلة مفصولا بينه وبين (الذين) بقيد مقدم، مثل: {وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}[253] {وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ}.[254]

وفي القصر بضمير الفصل، والاهتمام بتقديم الآيات ما يلائم سياقاتها المعينة، وما أظن أن صاحب "نظم الدرر" وشيخه كانا ينظران إلى مثل هذه الأساليب في مقامهم الذى قررا فيه ما كان سببا في هذا البحث.

وبقية مواضع الفعل (يؤمنون) غير مسبوقة بالموصول (الذين) فهي خارجة عن دائرة البحث.

بقي التنبيه إلى أن تعبير "الذين يؤمنون" وإن تحقق فيه ما قرره الحرالي من سموه درجة فوق تعبير "الذين آمنوا" إلا أنه مثله فيما سبق تحقيقه = من أن الشأن في فقه دلالته لا يتحقق إلا بمعونة السياق، بل والجزئي منه على وجه الخصوص.

ويكفي في هذا سوق شاهد واحد صدر بذكر أسمى وأرقى درجات "الذين يؤمنون" ومع ذلك تخلل نظمه ما يثبت إمكان تلبسهم بعمل (سوء بجهالة) كما صرحت به آية الأنعام (54): {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.[255]

وختاماً أكرر ما ذكرته بدءا من أن تعبيري "الذين آمنوا"، و"والذين يؤمنون" وإن صدق في فقه دلالتهما ما قرره شيخا علم المناسبة إلا أن السياق هو الحكم المعتبر في كل شاهد على حده، وقد أيد وجهة الإمامين في الأعم الأغلب من شواهد التعبيرين في القرآن الكريم، كما أن الاستقصاء المتأمل قد أفاد غير ما ارتأياه في سياقات خاصة، وقد سبق بيانها وتفصيلها فيما سلف من مباحث تحتم إضافة الاستدراك المحترس على قاعدتهما الجليلة، ويقيني أن هذا لا يقدح في عملهما، بل إنهما –في ظني– من أشد الفرحين به؛ لأنه ثمرة من نتاج غرسهما الكريم، وهي بلا ريب مما يضاف لهما في موازين الحسنات عند ربهم الكريم .. رفع الله درجتهما عنده في عليين، وألحقنا بهم كرامة نفس، وقرة عين، آمين.

(References)

(1)– هو الأستاذ الدكتور محمود توفيق في مناقشة زميلنا الدكتور/ علي عيسى في رسالة العالمية "الدكتوراه" عام 1417هـ – 1997م.

1. *Phd Dissertation by: Ali Essa, 1997.*

(2)– من علماء المغرب الذين نزلوا "حماة" من بلاد الشام، كان عارفاً متقناً للنحو والكلام، (ت سنة 637هـ). انظر: شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء (309/16) ط دار الحديث – القاهرة، 2006م.

2. *Šams Al-ddīn Al-ḏhabī: Sīr Aʿlām Al-nubalāʾ (16: 309).*

(3)– البقاعي: نظم الدرر (339/2–340) ت: عبد الرازق المهدي، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1415هـ–1995م، وهو نص عجيب يصلح أن يكون متناً مكتنزاً في بابه – فليراجع.

3. *Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (2:339-340).*

(4)– سورة البقرة (183).

4. *Sūraï Al-baqaraï (183).*

(5)– نظم الدرر (331/1)، ويراجع نص أكثر تفصيلاً في (314/1–315) قد استغرق سبعة وعشرين سطرا.

5. *Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (1:331), (1:314-315).*

(6)– سورة البقرة (104).

6. *Sūraï Al-baqaraï (104).*

(7)– سورة البقرة (153).

7. *Sūraï Al-baqaraï (153).*

(8)– سورة البقرة (172).

8. *Sūraï Al-baqaraï (172).*

(9)– سورة العنكبوت (56).

9. *Sūraï Al-ʿnkabūt (56).*

(10)– سورة الزمر (10).

10. *Sūraï Al-zumar (10).*

(11)– سورة الجاثية (14).

11. *Sūraï Al-ğāṯīaï (14).*

(12)- سورة إبراهيم (31).

12. *Sūraï Ibrāhīm (31).*

(13)- الصاوي المالكي: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (185/4) ط عيسى الحلبي – القاهرة، من دون تاريخ.

13. *Al-ṣāwy Al-mālkī: ḥāšīï Al-ṣāwy ʿli tfsīr Al-ğalālaīn (4/185).*

(14)- سورة الطلاق (10).

14. *Sūraï Al-ṭalāq (10).*

(15)- سورة يونس (4).

15. *Sūraï īūnus (4).*

(16)- سورة المائدة (55).

16. *Sūraï Al-māʾidï (55).*

(17)- سورة النساء (76).

17. *Sūraï Al-nesāʾ (76).*

(18)- سورة المنافقون (8).

18. *Sūraï Al-munāfeqūn (8).*

(19)- سورة الأنفال (2).

19. *Sūraï Al-ʾanfāl (2).*

(20)- سورة الأحزاب (6).

20. *Sūraï Al-ʾaḥzāb (6).*

(21)- سورة الفتح (18).

21. *Sūraï Al-fatḥ (18).*

(22)- سورة الأنفال (74).

22. *Sūraï Al-ʾanfāl (74).*

(23)- سورة النساء (95).

23. *Sūraï Al-nesāʾ (95).*

(24)- سورة آل عمران (28).

24. *Sūraï Al- ʿmrān (28).*

(25)- سورة النور (12).

25. *Sūraï Al-nūr (12).*

(26)- سورة الحجرات (9).

26. *Sūraï Al-ḥuğurāt (9).*

(27)- سورة الأنفال (5).

27. *Sūraï Al-ʾanfāl (5).*

(28)- سورة المزمل (15، 16).

28. *Sūraï Al-muzzmel (15, 16).*

(29)- سورة التوبة (40).

29. *Sūraï Al-taūbï (40).*

(30)- سورة المائدة (3).

30. *Sūraï Al-māʾidï (3).*

(31)- ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب في كتب الأعاريب (50/1) ت: محيي الدين، ط صبيح من دون تاريخ.

31. *Ibn Hešām Al-ʾanṣārī: Muġnī Al-lbīb Fī Kutub Al-ʾaʿārīb (1: 50).*

(32)- د. فاضل السامرائي: معاني النحو (114/1)، ط1، دار الفكر عمان الأردن، 1420هـ – 2000م.

32. *Dr. Fāḍel Al-sāmurrāʾī: Mʿānī Al-naḥū (1: 14).*

(33)- سورة النساء (28).

33. *Sūraï Al-nesāʾ (28).*

(34)- سورة العصر (2).

34. *Sūraï Al-ʿṣr (2).*

(35)- سورة البقرة (2).

35. *Sūraï Al-baqaraï (2).*

(36)- سورة الأنبياء (30).

36. *Sūraï al-ʾanbīāʾ (30).*

(37)- مغني اللبيب (50).

37. *Muġnī Al-lbīb (P: 50).*

(38)- بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (337/1).

38. Bahāʾ Al-ddīn Al-ssubkī: ʿrūs Al-ʾafrāḥ Fī Šarḥ Talḫīṣ Al-meftāḥ (1: 337).

(39)- السعد التفتازاني: المطول (82- 83) ط أحمد كامل 1330هـ، عروس الأفراح (337/1).

39. al-sʿd al-tftāzānī: al-mṭūl (P: 82-83). ʿrūs Al-ʾafrāḥ (1:337).

(40)- سيبويه: الكتاب (220/1).

40. Sībawyh: Al-ketāb (1:220).

(41)- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز (29) ت: الشيخ محمود محمد شاكر، ط3، دار المدني، 1413هـ- 1992م.

41. Aʿbd Al-qāher Al-ğurğānī: Dalāʾil Al-iʿğāz (P: 29).

(42)- سورة النساء (28).

42. *Sūraï Al-nesāʾ (28).*

(43)- سورة يوسف من الآية (13).

43. *Sūraï ūūsf (13).*

(44)- دلائل الإعجاز (251)، معاني النحو (110/1).

44. *Dalāʾil Al-iʿğāz (P: 251). Mʿānī Al-naḥū (1: 110).*

(45)- دلائل الإعجاز (179-180).

45. *Dalāʾil Al-iʿğāz (P: 179-180).*

(46)- نفس المرجع والصفحة.

46. Ibid.

(47)- نفس المرجع (199).

47. *Ibid. (P: 199).*

(48)- نفس المرجع (200)، ابن يعيش: شرح المفصل (348/3) ط1، دار الكتب العلمية- بيروت، 2001م، معاني النحو (119/1).

48. *Ibid. (P: 200). Ibn īʿīš: Šaḥ Al-mufâṣ1(3:348). Mʿānī Al-naḥū (1: 119).*

(49)- سورة البقرة (9).

49. *Sūraï Al-baqaraï (9).*

(50)- سورة البقرة (249).

50. *Sūraï Al-baqaraï (249).*

(51)- سورة آل عمران (72).

51. *Sūraï Al- ʿmrān (72).*

(52)- محمد بن الحسن الإستراباذي الرضي: شرح الرضي لكافية ابن الحاجب (29).

52. Muḥammad bin Al-ḥasn Al-istrābāḏī Al-rraḍī: Šrḥ Al-rraḍī Le Kāfiï Ibn Al-ḥāğeb (29).

(53)- سورة طه (78).

53. *Sūraï ṭaha (78).*

(54)- محمد ابن عرفة الدسوقي: حاشية الدسوقي على مختصر السعد (306/1) ط1، بولاق 1317هـ، معاني النحو (122/1).

54. *Muḥammad Ben ʿrfï Al-ddusūqī: ḥāšïï Al-ddsūqī ʿla Muḫtaṣar Al-sʿd (1:306). Mʿānī Al-naḥū (1: 122).*

(55)- سورة البقرة (103).

55. *Sūraï Al-baqaraï (103).*

(56)- سورة البقرة (278).

56. *Sūraï Al-baqaraï (278).*

(57)- سورة الأحزاب (26).

57. *Sūraï Al-ʾaḥzāb (26).*

(58)- سورة الأحزاب (69).

58. *Sūraï Al-ʾaḥzāb (69).*

(59)- سورة يوسف (23).

59. *Sūraï īūsf (23).*

(60)- سورة طه (78).

60. *Sūraï ṭaha (78).*

(61)- حاشية الدسوقي (309).

61. *Ḥāšīï Al-ddsūqī (P: 309).*

(62)- سورة الأحقاف (13).

62. *Sūraï Al-ʾaḥqāf (13).*

(63)- الشروح (308/1).

63. *Al-šurūḥ (1:308).*

(64)- سورة غافر (60).

64. *Sūraï Ġāfer (60).*

(65)- الشروح (108 وما بعدها).

65. *Al-šurūḥ (108).*

(66)- البقاعي: نظم الدرر (33/1).

66. *Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (1:33).*

(67)- سورة البقرة (104).

67. *Sūraï Al-baqaraï (104).*

(68)- سورة البقرة (103).

68. *Sūraï Al-baqaraï (103).*

(69)- البقاعي: نظم الدرر (452/2).

69. *Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (2:452).*

(70)- المرجع السابق (480/2) .

70. *Ibid. (2:480).*

(71)- المرجع السابق (339/2).

71. *Ibid. (2:339).*

(72)- المرجع السابق (285/2).

72. *Ibid. (2:285).*

(73)- المرجع السابق (539/2).

73. *Ibid. (2:539).*

(74)- المرجع السابق (510/2).

74. *Ibid. (2:510).*

(75)- المرجع السابق (185/2).

75. *Ibid. (2:185).*

(76)- المرجع السابق (559/4).

76. *Ibid. (4:559).*

(77)- المرجع السابق (138/2، 144، 279) (510/4).

77. *Ibid. (2:138, 144, 279). (4:510).*

(78)- المرجع السابق (166/5).

78. *Ibid. (5:166).*

(79)- سورة الحديد (19).

79. *Sūraï Al-ḥadīd (19).*

(80)- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن (91) ط1، دار القلم- بيروت، 1412هـ.

80. Al-rrāġeb Al-ʾaṣfahānī: Al-mufradāt Fī Ġrīb Al-qurʾān (91).

(81)- عضد الدين عبد الرحمن الإيجي: المواقف في علم الكلام (384-387) ط عالم الكتب - بيروت.

81. ʿḍud Al-ddīn ʿbd Al-rarḥman Al-īğī: Al-mawāqef Fī ʿlm Al-kalām (384-387).

(82)- الألوسي: روح المعاني (97/1).

82. Al-ʾalūsī: Rūḥ Al-mʿānī (1:97).

(83)- نظم الدرر (451/7).

83. *Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (7:451).*

(84)- سورة البقرة (172).

84. *Sūraï Al-baqaraï (172).*

(85)- سورة آل عمران (130).

85. *Sūraï Al- ʿmrān (130).*

(86)- سورة المائدة (35).

86. *Sūraï Al-māʾidï (35).*

(87)- سورة المائدة (51).

87. *Sūraï Al-māʾidï (51).*

(88)- سورة آل عمران (102).

88. *Sūraï Al- ʿmrān (102).*

(89)- سورة النساء (43).

89. *Sūraï Al-nesāʾ (43).*

(90)- سورة الأنفال (2).

90. *Sūraï Al-ʾanfāl (2).*

(91)- سورة الأنفال (27).

91. *Sūraï Al-ʾanfāl (27).*

(92)- سورة الحج (77).

92. *Sūraï Al-ḥağ (77).*

(93)- سورة النور (21).

93. *Sūraï Al-nūr (21).*

(94)- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن (191/1) ت أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الفكر 1400 هـ- 1980م.

94. Badr Al-ddīn Al-zzarkšī: Al-burhān Fī ʿlūm Al-qurʾān (1: 191).

(95)- عروس الأفراح (337/1).

95. *ʿrūs Al-ʾafrāḥ (1:337).*

(96)- أبو العباس المغربي: مواهب الفتاح (331/1-332).

96. Abū Al-ʿbbās Al-maġrebī: Mawāheb Al-fattāḥ (1: 331-332).

(97)- دلائل الإعجاز (200).

97. *Dalāʾil Al-iʿğāz (P: 200).*

(98)- سورة البقرة (178).

98. *Sūraï Al-baqaraï (178).*

(99)- سورة البقرة (282).

99. *Sūraï Al-baqaraï (282).*

(100)- سورة آل عمران (200).

100. *Sūraï Al- ʿmrān (200).*

(101)- سورة المائدة (1).

101. *Sūraï Al-māʾidï (1).*

(102)- سورة النور (27).

102. *Sūraẗ Al-nūr (27).*

(103)- سورة الأحزاب (49).

103. *Sūraẗ Al-ʾaḥzāb (49).*

(104)- سورة الأحزاب (37).

104. *Sūraẗ Al-ʾaḥzāb (37).*

(105)- سورة البقرة (104).

105. *Sūraẗ Al-baqaraẗ (104).*

(106)- سورة البقرة (278).

106. *Sūraẗ Al-baqaraẗ (278).*

(107)- سورة النساء (43).

107. *Sūraẗ Al-nesāʾ (43).*

(108)- سورة المائدة (101).

108. *Sūraẗ Al-māʾidẗ (101).*

(109)- سورة الأحزاب (53).

109. *Sūraẗ Al-ʾaḥzāb (53).*

(110)- سورة الحجرات (2).

110. *Sūraẗ Al-ḥuğurāt (2).*

(111)- سورة المجادلة (12).

111. *Sūraẗ Al-muğādelaẗ (12).*

(112)- سورة الممتحنة (1).

112. *Sūraẗ Al-mumtaḥenaẗ (1).*

(113)- سورة الممتحنة (10).

113. *Sūraẗ Al-mumtaḥenaẗ (10).*

(114)- سورة المائدة (101).

114. *Sūraẗ Al-māʾidẗ (101).*

(115)- سورة المائدة (101).

115. *Sūraẗ Al-māʾidẗ (101).*

(116)- سورة آل عمران (156).

116. *Sūraẗ Al-ʿmrān (156).*

(117)- سورة النساء (94).

117. *Sūraẗ Al-nesāʾ (94).*

(118)- سورة التوبة (28).

118. *Sūraẗ Al-taūbẗ (28).*

(119)- سورة الأنفال (72).

119. *Sūraẗ Al-ʾanfāl (72).*

(120)- سورة الأنفال (72).

120. *Sūraẗ Al-ʾanfāl (72).*

(121)- سورة الأنفال (75).

121. *Sūraẗ Al-ʾanfāl (75).*

(122)- سورة يونس (23).

122. *Sūraẗ īūnus (23).*

(123)- سورة يوسف (57).

123. *Sūraẗ īūsf (57).*

(124)- سورة العصر (3).

124. *Sūraẗ Al-ʿṣr (3).*

(125)- سورة الأحزاب (35).

125. *Sūraï Al-ʾaḥzāb (35).*

(126)- سورة البقرة (277).

126. *Sūraï Al-baqaraï (277).*

(127)- سورة النساء (175).

127. *Sūraï Al-nesāʾ (175).*

(128)- سورة الأنعام (82).

128. *Sūraï Al-ʾanʿām (82).*

(129)- سورة الأنفال (74).

129. *Sūraï Al-ʾanfāl (74).*

(130)- سورة التوبة (21، 22).

130. *Sūraï Al-taūbï (21, 22).*

(131)- سورة الطور (21).

131. *Sūraï Al-ṭūr (21).*

(132)- سورة البقرة (25).

132. *Sūraï Al-baqaraï (25).*

(133)- سورة البقرة (82).

133. *Sūraï Al-baqaraï (82).*

(134)- سورة النساء (57).

134. *Sūraï Al-nesāʾ (57).*

(135)- سورة النساء (122).

135. *Sūraï Al-nesāʾ (122).*

(136)- سورة النساء (173).

136. *Sūraï Al-nesāʾ (173).*

(137)- سورة المائدة (9).

137. *Sūraï Al-māʾidï (9).*

(138)- سورة الأنفال (12).

138. *Sūraï Al-ʾanfāl (12).*

(139)- سورة يونس (2).

139. *Sūraï īūnus (2).*

(140)- سورة إبراهيم (27).

140. *Sūraï Ibrāhīm (27).*

(141)- سورة النحل (102).

141. *Sūraï Al-nnaḥl (102).*

(142)- سورة الحج (38).

142. *Sūraï Al-ḥağ (38).*

(143)- سورة الحج (54).

143. *Sūraï Al-ḥağ (54).*

(144)- سورة غافر (51).

144. *Sūraï Ġāfer (51).*

(145)- سورة الحديد (19).

145. *Sūraï Al-ḥadīd (19).*

(146)- سورة الحديد (21).

146. *Sūraï Al-ḥadīd (21).*

(147)- سورة الصف (14).

147. *Sūraï Al-ṣaff (14).*

(148)- سورة الصف (14).

148. *Sūraï Al-ṣaff (14).*

(149)- سورة النمل (53).

149. *Sūraï Al-naml (53).*

(150)- سورة فصلت (18).

150. *Sūraï fuṣelat (18).*

(151)- سورة الأنفال (12).

151. *Sūraï Al-ʾanfāl (12).*

(152)- سورة التوبة (20).

152. *Sūraï Al-taūbï (20).*

(153)- سورة التوبة (61).

153. *Sūraï Al-taūbï (61).*

(154)- سورة النور (55).

154. *Sūraï Al-nūr (55).*

(155)- مُحَمَّد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (4/92-93) ط1، مؤسسة الرسالة، 1415هـ.

155. Muḥammad Ben Ǧarīr Al-ṭabarī: Ǧāmʿ Al-bīān ʿn Tʾawyl Aī Al-qurʾān (4: 92-93).

(156)- سورة البقرة (9).

156. *Sūraï Al-baqaraï (9).*

(157)- سورة غافر (35).

157. *Sūraï Ġāfer (35).*

(158)- سورة المائدة (55).

158. *Sūraï Al-māʾidï (55).*

(159)- سورة المائدة (56).

159. *Sūraï Al-māʾidï (56).*

(160)- سورة البقرة (214).

160. *Sūraï Al-baqaraï (214).*

(161)- سورة البقرة (249).

161. *Sūraï Al-baqaraï (249).*

(162)- سورة الأعراف (88).

162. *Sūraï Al-ʾaʿrāf (88).*

(163)- سورة يونس (102،103).

163. *Sūraï īūnus (102, 103).*

(164)- سورة هود (58).

164. *Sūraï Hūd (58).*

(165)- سورة هود (66).

165. *Sūraï Hūd (66).*

(166)- سورة هود (94).

166. *Sūraï Hūd (94).*

(167)- سورة التوبة (88).

167. *Sūraï Al-taūbï (88).*

(168)- سورة آل عمران (68).

168. *Sūraï Al- ʿmrān (68).*

(169)- سورة التحريم (8).

169. *Sūraï Al-taḥrīm (8).*

(170)- سورة التوبة (113).

170. *Sūraï Al-taūbï (113).*

(171)- سورة البقرة (9).

171. *Sūraẗ Al-baqaraẗ (9).*

(172)- سورة غافر (35).

172. *Sūraẗ Ġāfer (35).*

(173)- أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (41/1) ط بيروت.

173. Abī Al-saʿūd: Iršād Al-ʿql Al-salīm Ela Mazāīā Al-ketāb Al-karīm (1:41).

(174)- نظم الدرر (514/6)، ويراجع (372/3) عند آية التوبة (88).

174. *Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (6:514), (3:372).*

(175) المرجع السابق (493/3).

175. Ibid. (3: 493).

(176)- سورة البقرة (9).

176. *Sūraẗ Al-baqaraẗ (9).*

(177)- ينظر: الألوسي: روح المعاني (356/14)، البقاعي: نظم الدرر (54/8).

177. *Al-ʾalūsī: Rūḥ Al-mʿānī (14: 356). Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (8: 54)*

(178)- سورة آل عمران (68).

178. *Sūraẗ Al- ʿmrān (68).*

(179)- سورة المائدة (55).

179. *Sūraẗ Al-māʾidẗ (55).*

(180)- سورة المائدة (56).

180. *Sūraẗ Al-māʾidẗ (56).*

(181)- سورة مُحَمَّد (1، 2).

181. *Sūraẗ Muḥammad (1, 2).*

(182)- سورة مُحَمَّد (3).

182. *Sūraẗ Muḥammad (3).*

(183)- سورة الشورى (17، 18).

183. *Sūraẗ Al-šūra (17, 18).*

(184)- سورة البقرة (26).

184. *Sūraẗ Al-baqaraẗ (26).*

(185)- سورة فصلت (44).

185. *Sūraẗ fuṣelat (44).*

(186)- سورة البقرة (165).

186. *Sūraẗ Al-baqaraẗ (165).*

(187)- سورة التوبة (124، 125).

187. *Sūraẗ Al-taūbẗ (124,125).*

(188)- سورة مُحَمَّد (20).

188. *Sūraẗ Muḥammad (20).*

(189)- سورة النساء (76).

189. *Sūraẗ Al-nesāʾ (76).*

(190)- سورة الشعراء (124-127).

190. *Sūraẗ Al-šuʿrāʾ (124-127).*

(191)- سورة ص (24).

191. *Sūraẗ ṣad (24).*

(192)- سورة التحريم (10-12).

192. *Sūraẗ Al-taḥrīm (12-10).*

(193)- سورة ص (28).

193. *Sūraẗ ṣad (28).*

(194)- سورة غافر (58).

194. *Sūraï Ġāfer (58).*

(195)- سورة مُحَمَّد (11).

195. *Sūraï Muḥammad (11).*

(196)- سورة النساء (152).

196. *Sūraï Al-nesāʾ (152).*

(197)- سورة الحج (56).

197. *Sūraï Al-ḥağ (56).*

(198)- سورة الروم (15).

198. *Sūraï Al-rrūm (15).*

(199)- سورة مُحَمَّد (20).

199. *Sūraï Muḥammad (20).*

(200)- سورة الحديد (27).

200. *Sūraï Al-ḥadīd (27).*

(201)- جامع البيان (54/26) ط مصطفى الحلبي، 1373هـ - 1954م، روح المعاني (21/8).

201. Ğāmʿ Al-bīān ʿn (26: 54). Rūḥ Al-mʿānī (8: 21).

(202)- سورة آل عمران (57).

202. *Sūraï Al- ʿmrān (57).*

(203)- سورة آل عمران (55، 56).

203. *Sūraï Al- ʿmrān (55, 56).*

(204)- سورة آل عمران (58، 59).

204. *Sūraï Al- ʿmrān (58, 59).*

(205)- نظم الدرر (281/2).

205. *Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (2:281).*

(206)- سورة البقرة (14).

206. *Sūraï Al-baqaraï (14).*

(207)- سورة البقرة (76).

207. *Sūraï Al-baqaraï (76).*

(208)- سورة آل عمران (72).

208. *Sūraï Al- ʿmrān (72).*

(209)- سورة البقرة (212).

209. *Sūraï Al-baqaraï (212).*

(210)- سورة المطففين (29).

210. *Sūraï Al-muṭaffefīn (29).*

(211)- سورة العنكبوت (12).

211. *Sūraï Al-ʿnkabūt (12).*

(212)- سورة يس (47).

212. *Sūraï īāsīn (47).*

(213)- سورة الأحقاف (11).

213. *Sūraï Al-ʾaḥqāf (11).*

(214)- سورة النور (19).

214. *Sūraï Al-nūr (19).*

(215)- سورة غافر (25).

215. *Sūraï Ġāfer (25).*

(216)- سورة الحديد (13).

216. *Sūraï Al-ḥadīd (13).*

(217)- سورة النساء (137).

217. *Sūraẗ Al-nesāʾ (137).*

(218)- سورة النساء (137).

218. *Sūraẗ Al-nesāʾ (137).*

(219)- سورة البقرة (62).

219. *Sūraẗ Al-baqaraẗ (62).*

(220)- سورة المائدة (82).

220. *Sūraẗ Al-māʾidẗ (82).*

(221)- سورة المائدة (53).

221. *Sūraẗ Al-māʾidẗ (53).*

(222)- سورة الشورى (45).

222. *Sūraẗ Al-šūra (45).*

(223)- سورة الرعد (31).

223. *Sūraẗ Al-rrʿd (31).*

(224)- سورة الأعراف (32).

224. *Sūraẗ Al-ʾaʿrāf (32).*

(225)- سورة البقرة (213).

225. *Sūraẗ Al-baqaraẗ (213).*

(226)- سورة البقرة (62) سورة المائدة (69) سورة الحج (17).

226. *Sūraẗ Al-baqaraẗ (62). Sūraẗ Al-māʾidẗ (69). Sūraẗ Al-ḥağ (17).*

(227)- نظم الدرر (523/2).

227. *Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (2:523).*

(228)- المرجع السابق (394/1).

228. Ibid. (1:394).

(229)- سورة آل عمران (140).

229. *Sūraẗ Al- ʿmrān (140).*

(230)- سورة آل عمران (141).

230. *Sūraẗ Al- ʿmrān (141).*

(231)- سورة العنكبوت (11).

231. *Sūraẗ Al-ʿnkabūt (11).*

(232)- نظم الدرر (160/2).

232. *Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (2:160).*

(233)- سورة هود (29).

233. *Sūraẗ Hūd (29).*

(234)- سورة الشعراء (114).

234. *Sūraẗ Al-šuʿrāʾ (114).*

(235)- سورة النور (22) .

235. *Sūraẗ Al-nūr (22).*

(236)- سورة الحجرات (15).

236. *Sūraẗ Al-ḥuğurāt (15).*

(237)- سورة النور (62).

237. *Sūraẗ Al-nūr (62).*

(238)- سورة الحجرات (15).

238. *Sūraẗ Al-ḥuğurāt (15).*

(239)- سورة الأنفال (2-4).

239. *Sūraẗ Al-ʾanfāl (2-4).*

(240)- ينظر نظم الدرر (184/3) و(288/5) و(239/7-240).

240. *Al-Beqāʿī: Naẓm Al-durar (3:184), (5:288), (7:239-240).*

(241)- المرجع السابق (315/1).

241. Ibid. (1:315).

(242)- سورة الأنعام (113).

242. *Sūraẗ Al-ʾanʿām (113).*

(243)- سورة التوبة (29).

243. *Sūraẗ Al-taūbẗ (29).*

(244)- سورة النحل (104).

244. *Sūraẗ Al-naḥl (104).*

(245)- سورة هود (121).

245. *Sūraẗ Hūd (121).*

(246)- سورة الأنعام (92).

246. *Sūraẗ Al-ʾanʿām (92).*

(247)- سورة التوبة (44).

247. *Sūraẗ Al-taūbẗ (44).*

(248)- سورة النور (62).

248. *Sūraẗ Al-nūr (62).*

(249)- سورة المجادلة (22).

249. *Sūraẗ Al-muğādalaẗ (22).*

(250)- سورة الأنعام (91).

250. *Sūraẗ Al-ʾanʿām (91).*

(251)- سورة الأنعام (93).

251. *Sūraẗ Al-ʾanʿām (93).*

(252)- سورة البقرة (5).

252. *Sūraẗ Al-baqaraẗ (5).*

(253)- سورة الأعراف (165).

253. *Sūraẗ Al-ʾaʿrāf (165).*

(254)- سورة المؤمنون (58).

254. *Sūraẗ Al-muʾmnūn (58).*

(255)- سورة الأنعام (54).

255. *Sūraẗ Al-ʾanʿām (54).*